

المسحاة

مجلة

المجلد الثامن عشر
الجزء الثالث



إهداء من

طبعة دار الوفاء
للطباعة والنشر

تابعوا ...



WWW.ALUKAH.NET

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

المعراج
١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للإسلام صوى وه مناراه كنار الطريق

مصر ٢٩ جمادى الأولى ١٣٣٣ ٢٣ الحبل (١ ر) ١٢٩٣ هـ ١٤ ش ١٤ إبريل ١٩١٥

فَتَاوَى الْمُنْبَازِ

افتتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، اذ لا يسع الناس عامة. وينبغي للسائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف او يعبر بما شاء من الألقاب ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدرج غالبا وربما قدمنا متأخراً لسبب حاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا ، ولمن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فان لم تذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

(صدق به وصدق له)

(س ١) من صاحب الامضاء مدير مجلة الأديان في بنجاب بالهند
سيدي العزيز !

كتبت في أحد أعداد المنار (كما سمعت) أن هناك فرقا بين قولنا «صدق له»
« وصدق به » وقلت أن الاخير يفيد معنى التحقق والامضاء ، والاول يفيد معنى
الائتمام (أي تحقق مضمون الشيء) وما استعمله القرآن بالنسبة الى التوراة
والانجيل هو التعبير الاول . وهذا التفسير هو الجدير بالاعتبار ويحل الاشكال الذي
بين المسلمين والنصارى في مسألة شهادة القرآن لكتبهم . واني أعد لكم فضلا كبيرا

[المنار: ج ٣ م ١٨] مسألة تصديق النبي لمن قبله من الرسل ١٧٩

علي إذا أقمت لي الدليل على صحة هذا الفرق بين العبارتين حتى يتيسر للإنسان أن يقتبسه كلما قام جدال بيننا وبينهم في هذه المسألة وأملّي أن تبادروا بالجواب

عبدكم (?) المخلص

شرالي

مدير مجلة الأديان

(ج) إن ما أشرت إليه من التفرقة بين صدق به وصدق له وقع في رسالة الدكتور محمد توفيق صدقي لا في كلام المنار. وما ينشر في المنار لغبرنا لا يصح أن نطالب بالدليل عليه بل نستل عن رأينا فيه. والذي يؤخذ من استعمال القرآن لكلمة التصديق وما اشتق منها ومن استعمال العرب هو أن «صدق» فعل يتعدى بنفسه كما قال تعالى (٣٧: ٣٧) بل جاء بالحق وصدق المرسلين) وأن التصديق يكون بالقول كقولك: صدق فلان فيما أخبر به. ويكون بالفعل، ومثاله أن تقول: ان فلان سيفعل كذا، أو يقول كيت وكيت - فيفعل ذلك الفعل أو يقول ذلك القول، فهذا يسمى تصديقا لما قلته عنه، سواء أراد به ذلك أم لا، كل جائز في اللغة مستعمل فيها. فتصديق نبينا صلى الله عليه وآله وسلم للمرسلين عليهم السلام ولكتبهم يصح فيه الوجهان - يصح أن يراد به إخباره بصدقهم فيما بلغوه عن الله تعالى، وإن يراد به أن بعثه وصفاته وأفعاله دلت على صدقهم في البشارة به، وبكل من القولين قال أهل التفسير المأثور والمعقول، والقرائن ترجح أحدهما على الآخر في المواضع المختلفة ولم يرد صدق متعديا باللام فيما نعلم. أما مثل قوله تعالى (٢: ٤١) وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم) وقوله (٢: ٩١) وهو الحق مصدقا لما معهم) فاللام فيه للتقوية لا للتعدية، وهو بمعنى قوله (٦: ٩٢) وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه) ومعنى ذلك أنه دال على صدق تلك الكتب فيما بشرت به من بعثة النبي (ص) أو ناطق بصدق أولئك المرسلين فيما جاؤا به عن الله تعالى. فإن أريد بالتصديق القولية منه فهو لا ينافي ما أثبتته في آيات أخرى من تحريف القوم لبعض تلك الكتب الصادقة ونسيانهم حطامها. ومثاله أن يقول قائل لقوم ان فلانا المؤرخ صادق وإن ما كتبه لكم من تاريخكم أو تاريخ كذا صحيح، ولكنكم نسيتم بعض ما جاءكم

به فلم تحفظوه ، وحرقتكم بعض كلمه فلم تبيينوه ولم تستبينوه . هذا هو التحقيق في تفسير الآيات الواردة في هذه المسألة . وقد فصلنا القول فيها في مواضعها من التفسير وأيدناه بالدليل

وأما قولهم : صدق بكذا أو بفلان ، — فهو ليس من التصديق الذي معناه مجرد إثبات الصدق بالقول أو الفعل ، فان التصديق بمعنى إثبات الصدق يتعلق بالاقوال لا بالأشخاص والأشياء ، فاذا اسند الى الأشخاص فأما يسند اليهم باعتبار مضاف محذوف ، « فمعنى صدق المرسلين » صدق أقوالهم . فاذا عدي التصديق بالباء كان متضمنا لمعنى الايمان فكان تصديق اعتقاد محله القلب ، فالتصديق بالنبي هو الايمان بنبوته لا قولك بلسانك إنه صادق ؛ ولا فعلك فعلا يدل على صدق كلامه . وأما تصديقه فيشمل هذا وذاك . والمصدق باللسان قد يكون غير مصدق بالقلب . وحقيقة معنى تضمين فعل معنى آخر هو أن تضم معناه الى معنى الفعل الاصلى بتعديته الى ما يتعدى اليه لكي يدل على معناه أولا وبالذات . وتبقى دلالته على معناه الاصلى مرادة ولو على سبيل الزوم والا كمال . كقوله تعالى (ولأن تأكلوا أموالهم الى أموالكم) أي لا تأكلوها بضمها الى أموالكم لتكون ربحا لكم ككسبكم . وهذا لا ينافي الاكل منها بمخالطة اليتيم وإشراكه مع الوصي في المعيشة مع اتقاء الوصي قصد الربح منه ، كما أنه لا ينافي ضمها الى أمواله لحفظها معها لليتيم لانفسه . وقد استعمل التصديق في القرآن متعديا بالباء في أربعة مواضع — ١ — قوله تعالى حكاية لبشارة الملائكة لذكرى (٣ : ٣٩) ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله) — ٢ — قوله تعالى (٣٩ : ٣٢) والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون) — ٣ — قوله (٦٦ : ١٢) وصدقت بكلمات ربها وكتبه) أي السيدة مريم عليها السلام — ٤ — قوله (٩٢ : ٥) وصدق بالحسنى) فكل موضع من هذه المواضع يراد بالتصديق فيه الايمان المستلزم للتصديق اللساني . والحسنى صفة لمحذوف قيل هو كلمة التوحيد ، واختار شيخنا انه الشريعة والملة

والايمان يتعدى بنفسه بالباء واذا تعدى باللام كان متضمنا لمعنى الاتباع كما لا يخفى على من استقرأ استعماله في الكتاب العزيز وكلام فصحاء العرب والله أعلم

أول الخلق وكونه نور النبي (ص) (تأخر كثيرا)

(س ٢) من صاحب الامضاء في الجامع الازهر
فضيلة الاستاذ ! بعد تقديم اللائق بمقامكم أعرض على حضرتكم مسألة
طالما تكررت على مسامعنا ولم نفقه لها معنى وسألت عنها بعض مشايخي بالازهر
فأجابوا بأنها من مواقف العقول فأرجو من فضيلتكم الشرح عنها
سمعنا أن الاشياء خلقت من نوره صلى الله عليه وسلم ، وأنه موجود قبل
الكائنات. فما معنى النور الذي خلقت منه الكائنات، وكيف يقبل القسمة مع أنه
من المكيفات؟ وكيف يكون النبي أولا وآخرا؟ أجيوا لازلتم للدين منارا
كاتبه احمد مصطفى النقي

(ج) ما يذكر في الموالد وبعض الكتب من كون أول الخلق نور النبي (ص)
لا يصح منه شيء، فما ينني عليه من الاشكال ساقط يصدق عليه ما قلناه في الامر الثاني
من جواب السؤال عن عدد صفات الله تعالى وعلمه بها (في ص ٧٣٩ م ١٧) .
وتجدون البحث في مسألتكم مفصلا في (ص ٨٦٥ - ٨٦٩) من مجلد المنار الثامن

﴿ كتاب الجفر . وحديث الاستعاذة من الحور بعد الكور ﴾

(س ٣ و ٤) من صاحب الامضاء في جهة أبي كبير « الشرقية »
حضرة السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار المنير

السلام عليكم ورحمة الله. وبعد فنرجو اولا التكرم بافادتنا عن كتاب الجفر
المنسوب للإمام علي كرم الله وجهه هل هو صحيح أو باطل وما هي أدلة المبتين
وما هي أدلة النافين وما هو رأيكم الخاص

ثانيا ما معنى قوله صلى الله عليه وسلم « نعوذ بالله من الحور بعد الكور »
هذا وتنازلوا بقبول فائق احترامي
ابو هاشم علي قريبط

«ج» أما كتاب الجفر فلا يعرف له سند الى امير المؤمنين وليس على النافي
دليل وانما يطلب الدليل من مدعي الشيء ولا دليل لمدعي هذا الجفر

واما معنى الحديث فقد قال ابن الاثير في النهاية : « نعوذ بالله من الحور بعد
الكور » اي من التقصان بعد الزيادة، وقيل من فساد أمورنا بعد صلاحها، وقيل
من الرجوع عن الجماعة بعد ان كنا منهم. وأصله من تفض العمامة بعد لفها . اه
وفي لسان العرب : يقال كار عمامته على راسه اذا لفها ، وحرار عمامته اذا نقضها.

حرب المدنية الاوربية

والمقارنة بينها وبين المدنية الاسلامية ، والفتوحات العربية

لقد أرتنا هذه الحرب من ضروب العبر ، ما لم يكن يخطر قبلها على قلب بشر ، وهتكت لنا من أستار الرياء ، ما أرانا كثيرا من حقائق الاشياء ، التي لم يكن يلمحها الا أفراد الحكماء ، فظهر للذكي والبليد ، والغوي والشيد ، ان هذه مدنية المادية ، مدنية قوة وحشية ، وشهوات بهيمية ، كانت تخدع الابصار وتقن البصائر بما يدعيه أهلها في زمن السلم من حب الحق والتحلي بلباس الفضائل ، واقامة ميزان العدل ، وثل عروش أئمة الجور والظلم ، حبا في سعادة الناس ، ورغبة في المساواة بين الافراد والاجناس

وقد كان من مقدمات هذه الحرب بين الدول الكبرى حربان في البلقان ، اقترف فيهما البلقانيون من ضروب القسوة وفضائع العدوان ، وتقتيل الشيوخ والولدان ، وهتك الاعراض ونهب الاموال ، ما لم يعرف التاريخ أقبح منه منظرا ، ولا أسوأ عاقبة وأثرا ، ولم يكن يخطر في بال أحد أن هذه الموبقات يمكن ان يقع مثلها من دولة من الدول الكبرى ، دول العلم والفنون والمدنية الرائعة في هذا العصر الذي يفضلونه على جميع العصور ، ويسمونه عصر الحضارة والنور ، نعم ان أنواره المادية يكاد شعاعها يذهب بالابصار ، ويمكن ان يفضل بها الليل على النهار ، ولكن يمثل لك في هذا الضوء عالم المدنية ، هيكلا من هياكل الوثنية ، قد نصب في محرابه تمثال القوة الحربية ، واضعا إحدى قدميه على الحق والاخرى على الفضيلة ، رافعا يمينه راية القهر والسلطة ، وبشمالها راية الشهوة واللذة ، والناس ما بين راحه له وساجد ، ومحرق للبخور ومقدم للذبايح

قلما كان أحد من الناس يظن ان دول العلم والحضارة تقترب مثل ذلك الظلم والعدوان ، وتجترح تلك السيئات التي اجتريحتها شعوب البلقان ، فجاءت هذه الحرب مكذبة لظن الخير فيها ، وأحقت من القضاء بالقسوة والفظاعة عليها شر ما أحقت على من قبلها ، اذ كانت أقدر على التنكيل والتدمير من البلقانيين الذين

هم عالة عليها ، بقدر ما آتاه العلم من أسبابها وآلاتها ، فقد جعلت العلم الجدير بأن يكون مصدر العدل والرحمة والسعادة ، مصدرا للظلم والقسوة والشقاوة ، فهذه دولة ألمانية المتنازعة بسعة العلوم واتقان الفنون ، قد امتازت بما اخترعته من آلات التخريب وأسباب المنون ، وينقل لنا عنها محاربوها ما تقشعر منه الجلود ، ويتصدع من هولهِ الحجر الجامود ، من مدافع تدرك الحصون والمعقل ، وغواصات تنسف البوارج والبواخر ، وغازات سامة يتكون منها دخان أخضر ، يقتفي آثاره الموت الأحمر ، فهو مصداق قول الله تعالى (فارتقب يوم تأتي السماء بدُخان مبين * يغشى الناس هذا عذابٌ أليم)

وضعوا للحرب قوانين لتخفيف نكباتها ومصائبها مستمدة محاسنها من الشريعة الاسلامية شريعة العدل والرحمة ، ولكن ثبت انهم مارعوها حق رعايتها ، وانما يعملون بها في بعض الامور الظاهرة المشتركة بين كل من المتقاتلين كعاملية الاسرى ، ومن آمن منهم ان يعاقب بمثل عاقب به لعجز خصمه أو لا مكانه إخفاء جنايته ، لم يلتزم أحكام قوانين الحرب وحقوق الدول ولا معاهداتها احترامالها ، أو حبا في الحق والعدل اللذين توضع القوانين والعهود لاجلها .

فأين حرب هذه الامم والدول التي خدع الناس كلهم حتى المسلمون بها ، وصاروا يباهون بفضائلها ، وارتقائها في معارج المدنية الانسانية بعلومها وفنونها ، — من حرب الصحابة الذين كان أكثرهم أميين ؟ تلك الحرب التي لم يعرف التاريخ البشري مثلها في رعاية الحق والعدل والورع ، واستعمال الرأفة والرحمة في السر والعلن ، بل شهد فيلسوف التاريخ والاجتماع (غوستاف لوبون) للعرب كلهم بذلك فقال : ما عرف التاريخ فاتحا أعدل ولا أرحم من العرب . فبذلك العصر النوراني فليفاخر المفاخرون ، لا بعصر الوحشية المنظمة التي جاء بها القرن العشرون

هل نقل ناقل أو قال قائل ان أحدا من الصحابة عليهم الرضوان أو ممن حارب معهم من التابعين انتهك عرضا ، أو قتل شيخا أو امرأة أو غلاما ، أو سلب لأحد من أعدائه مالا ، أو هدم كنيسة أو دبرا ، أو قتل راهبا أو قسيسا ؟ أو مثل بقتيل ،

أو أجهز على جريح؟ كيف وقد كان الرسول (ص) يوصيهم بمثل قوله «انطلقوا باسم الله وبالله (ص) ولا تقتلوا شيخا فانيا^(١) ولا طفلا صغيرا ولا امرأة، ولا تغلوا، وضموا غنائمكم، (واحسنوا ان الله يحب المحسنين)» رواه أبو داود من حديث انس بن مالك - وروى احمد من حديث ابن عباس قال كان رسول الله (ص) اذا بعث جيوشه قال «اخرجوا باسم الله تعالى تقاتلون في سبيل الله من كفر بالله، لا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا^(٢) ولا تقتلوا الولدان ولا أصحاب الصوامع»

ومن وصايا الخليفة الأول أبي بكر الصديق (رض) المقتبسة من مشكاة النبوة مارواه مالك في الموطأ عن يحيى بن سعيد ان ابا بكر بعث جيوشا الى الشام فخرج يمشي مع يزيد بن أبي سفيان - وكان يزيد أمير ربع من تلك الارباع - فقال اني موصيك بعشر خلال: لا تقتل امرأة ولا صبيا ولا كبيرا هرماء ولا تقطع شجرا مثمرا، ولا تخرب عامرا، ولا تعقرن شاة ولا بعيرا الا لما كله، ولا تعقرن نحلا ولا تحرقه، ولا تغلل ولا تحبش^(٣)

نعم قد كان يقع قليل من الشذوذ يقابل بالانكار، الا اذا دفع اليه الاضطرار، والنادر لا حكم له. روى الشيخان وأصحاب السنن ما عدا النسائي وغيرهم عن ابن عمر قال: وجدت امرأة مقتولة في بعض مغازي النبي (ص) فنهى رسول الله (ص) عن قتل النساء والصبيان.

وروى احمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه وغيرهم عن رياح بن ربيع انه خرج مع رسول الله (ص) في غزوة غزاها وعلى مقدمته خالد بن الوليد فمر رياح وأصحاب رسول الله (ص) على امرأة مقتولة مما أصابت المقدمة فوقفوا ينظرون اليها

(١) المراد بالشيخ الفاني من لا يقاتل وقد كان الناس كلهم مقاتلة الا هؤلاء الذين نهى الحديث عنهم والقاعدة الاسلامية العامة انه لا يقاتل الا من يقاتل (٢) الغلول الحياثة والغنائم. والتمثيل تشويه الأعضاء بنحو قلع العين وجدع الانف وصلم الاذن. وقد حرم الاسلام بالتمثيل بالقتلى فضلا عن الاحياء، وقد ثبت وقوع التمثيل في حرب المدينة الاوربية وفي الحرب البلقانية قبلها

(٣) أخبئ الرجل خبا في خبنة ثوبه أو سراويله شيئا. والخبنة بالضم طية الثوب وثنيته. وفي نسخ الموطأ المطبوعة وأكثر الكتب التي نقلت عنه: ولا تحبش بالجيم

[المنار: ج ٣ م ١٨] الغرامات والضرائب في الفتح الاوربي والعربي ١٨٥

حتى لحقهم رسول الله (ص) على راحلته فأفرجوا عنها ، فوقف عليها رسول الله (ص) وقال : ما كانت هذه لتقاتل — وقال لأحدهم — الحق خالدا قتل له لا تقتلوا ذرية ولا عسيفا ^(٢) وروى أبو داود في مراسيله عن عكرمة ان النبي (ص) مر بامرأة مقتولة يوم حنين فقال « من قتل هذه » ؟ فأخبره رجل انه كان غنمها فلما رأت الهزيمة أهوت الى قائم سيفه لتقتله به فقتلها قبل ان تقتله . ولا أتدكر قتل امرأة في مغازي النبي (ص) غير هاتين الا تلك المرأة اليهودية التي أمرها زوجها ان تلقي الرمح على بعض المسلمين في غزوة بني النضير ليقتلوها فلا تعيش بعده اذ كان موطنها نفسه على ان يقاتل حتى يقتل ففعلت

وقد كان وفق النبي (ص) بالنساء أعظم من ذلك فقد روى ابن اسحق ان بلالاً مرّ بصفية وابنة عم لها على قتلى يهود بعد سقوط حصن بني أبي الحقيق فلما رأت المرأة القتلى صكت وجهها وصاحت وحشت التراب على وجهها فقال النبي (ص) لبلال « أنزعت الرحمة من قلبك حين تمر بالمرأتين على قتلاهما » ؟

ومن ضروب العبوة في حرب المدينة الاوربية كثرة ما يتقاضونه من البلاد التي يفتحونها من الغرامات ، وما يفرضونه عليها من الأتاوات ، وقد كان المسلمون الاولون يكلفون أهل البلاد ضيافة ثلاثة أيام ، لضرورة الحاجة الى القوات وعدم تيسر أسبابه بالطرق النظامية المتبعة في هذه الايام ، وأما الجزية والخراج اللذان يفرضونهما على أهل البلاد فهما أقل مما تفرضه كل حكومة من حكومات الارض على أبناء جنسها في بلادها ، دع ما تفرضه الحكومات الاوربية في مستعمراتها ، فهو يستغرق معظم غلات أرضها ، فلا يبقى لأكثر أهلها منها الا ما يسد الرمق ، ويستعين به على مداومة العمل ، وقد قرأنا في الصحف ما فرضه الألمان على أهل بلجيكة من الغرامات وما حملوهم من الأثقال ، بعد ما حل بهم ما حل من الخزي والنكال ، فاذا هو مما تعجز عن حملة الجبال لالجمال ، ولا غرو فان كل حظ أهل هذه المدينة المادية

(١) العسيف الاجير

١٨٦ رد الصحابة الخراج لأهل حمص [المنار: ج ٣ م ١٨]

من الحياة والدافع لها إلى القتال ، إنما هو الاستكثار من جمع الأموال ، والتمتع باللذة والعظمة والسلطة والجاه ، ولو ظفر البلجيكيون بالألمان ، لأنزلوا بهم الخزي والهوان ، وعاملوهم كما عاملوا أهل الكونغو منذ أعوام ، فأين هذا من عفة المسلمين ولا سيما الصحابة الكرام .

روى البلاذري في فتوح البلدان عن سعيد بن عبد العزيز قال : بلغني أنه لما جمع هرقل للمسلمين الجوع وبلغ المسلمين أقبالهم عليهم لوقعة اليرموك ردوا على أهل حمص ما كانوا أخذوا منهم من الخراج وقالوا قد شغلنا عن نصرتكم والدفع عنكم . فأنتم على أمركم . فقال أهل حمص : كولايتكم وعدلكم أحب إلينا مما كنا فيه من الظلم والغشم ، ولندفن جند هرقل عن المدينة مع عاملكم . ونهض اليهود فقالوا : والتوراة لا يدخل عامل هرقل مدينة حمص إلا أن تغلب ونجهد . فأغلقوا الأبواب وحرسوها . وكذلك فعل أهل المدن التي صولحت من النصارى واليهود ، وقالوا إن ظهر الروم وأتباعهم على المسلمين صرنا إلى ما كنا عليه ، وإلا فانا على أمرنا ما بقي للمسلمين عدد . فلما هزم الله الكفرة (يعني الروم أي الرومانيين) وأظهر المسلمين فتحوا مدنهم وأخرجوا المقلسين وأدوا الخراج . اهـ

وفي رواية أحفظها ولا أتذكر موضعها الآن أن الصحابة لما ردوا ما كانوا أخذوا من الجزية قالوا انا كنا أخذناها جزاء حمايتكم والدفاع عنكم وقد عجزنا الآن عن ذلك . فحلف الأهالي أن أبناء دينهم ما كانوا ليرجعوا مالا أخذه الخ

فهل عهد من فاتح في الأولين والآخرين أن يرد الخراج إلى أهل البلاد التي يفتحها ، بناء على أن الخراج لا يباح أخذه إلا لأجل حفظ البلاد والدفع عنها ، وإن العجز عن ذلك وإن كان في سبيل الدفاع عن تلك البلاد يوجب رد الأموال إلى أصحابها ؟ لا لا ، إن هذا العدل والورع لم يعرفه البشر إلا من الصحابة رضي الله عنهم ، فإن كان من وليهم من خلفاء العرب وأمرائهم دونهم ، فهم يفضلون سائر الأمم في رفقهم وقناعتهم

كان بنو أمية أحرص العرب على نعيم الملك وسعة العيش ، فخرجوا في كثير من أمر السلطة والتصرف في بيت المال عن السنة المتبعة وسيرة الخلفاء الراشدين

[المنار : ج ٣ م ١٨] الحكم الاسلامي وعدل عمر بن عبد العزيز ١٨٧

وانما استقام عليها منهم عمر بن عبد العزيز . أما سيرتهم في الغزو والقضاء بين الناس وإدارة البلاد فكانوا يتحرون فيها العدل والرحمة ، وكذلك كانت سيرة العباسيين في الشرق ، والامويين في الغرب (أي الاندلس) ومن شذ عن ذلك لغير سبب حفظ الملك كان مذموما وعرضة للعقاب ، وقد تضاعفت ثروة الممالك واستبحر عمرانها بعد أن انتزعوها من الروم والفرس . بما كانوا يسوسونها به من الرحمة والعدل ، ولم يفتن لهذا بعض الكتاب الذي انبرى في هذه الايام الى ذم ولاية العرب بكونهم لم يكن لهم هم إلا جباية الخراج ، وقوله في أفراد منهم انهم لم يفعلوا شيئا للبلاد ، أو لم يقل فلان المؤرخ انهم فعلوا شيئا — وهو يعلم علما ضروريا ان عدم القول لا يستلزم عدم الفعل ، وان ماسكت عنه زيد يجوز ان لا يسكت عنه عمرو ، ويعلم علما تقليا أن مزية الفاتحين الاولين من العرب هي العدل والرحمة لا الصناعة التي امتاز بها مؤسسو الاهرام وأمثالهم ، وكانت ولا تزال شاهدة على استبدادهم وظلمهم كتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز يشكو اليه قلة دخل بيت المال بمصر بكثرة دخول الناس في الاسلام ، ويستأذنه في ضرب جزية على المسلمين . فكتب اليه عمر هذه الكلمة العالية « ان محمدا (ص) بُعث هاديا ، ولم يبعث جاييا » وكتب اليه عدي بن أرطاة : أما بعد أصلح الله أمير المؤمنين فان قبلي أناسا من العمال قد اقتطعوا من مال الله عز وجل مالا عظيما لست أرجو استخراجهم (وفي رواية : لست أقدر على استخراجهم) من أيديهم الا أن أمسهم بشيء من العذاب . فان رأى أمير المؤمنين ان يأذن لي في ذلك فعل « فأجابه بقوله : « أما بعد فالعجب كل العجب من استئذائك إياي في عذاب بشر ، كأنني لك جنة من عذاب الله . وكان رضائي عنك ينجليك من سخط الله عز وجل ، فانظر من قامت عليه يينة عدول فخذها بما قامت عليه به البينة ، ومن أقر لك بشيء فخذها بما أقر به ، ومن أنكر فاستحلفه بالله العظيم وخل سبيله . وأيم الله لأن يلقوا الله عز وجل بخياناتهم ، أحب الي من ألقى الله بدمائهم . والسلام »

وروي عن يحيى الفسائي أنه قال : لما ولاني عمر بن عبد العزيز الموصل قدمتها فوجدتها من أكثر البلاد سرقا ونقبا ، فكتبت الى عمر أعلمه حال البلد وأسأله :

١٨٨ قاعدة القوة للحق وهداية الاسلام والمسيحية فيها [المنار: ج ٣ م ١٨]

أخذ الناس بالظنة ، وأضر بهم على التهمة ، أم أخذهم بالينة ، وما جرت عليه السنة ؟ فكتب الي أن خذ الناس بالينة وما جرت عليه السنة ، فان لم يصلحهم الحق فلا أصلحهم الله . قال يحيى ففعلت ذلك فما خرجت من الموصل حتى كانت من أصلح البلاد وأقلها سرقا وتبعا .

ومن ضر وب العبرة في هذه الحرب ما تراه في كلام كثير من الكتاب من بنائها على قاعدة من قواعد المدنية الحديثة قررها الالمان وتوسعو في فلسفتها وألفوا فيها الكتب ، وواقفهم عليها من واقفهم بالقول والفعل أو بالفعل دون القول - وهي قاعدة « الحق للقوة » - وقد نشرنا في الجزء الذي قبل هذا مقالا في شأن الكتاب الذي ألفه أحد قواد الالمان وعلمائهم (الجنرال فون برنهاردي) في ذلك وسماه (المنطق والمبادئ في الحروب) وفي نقد مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية له ، ومنه تعلم أنهم جعلوا الأثرة وتفضيل الاقوياء على الضعفاء حتى في الحقوق المدنية مما تقتضيه الفضيلة والحكمة بل زعموا أنه من أصول الديانة المسيحية وأحكامها ، وان مساواة الشعب الغالب للشعب المغلوب لا يجوز في نظر العلم والفلسفة ولا في حكم الدين ندع لعلماء اللاهوت ورجال الكنيسة حكمهم فيما عراه الجنرال الالماني وغيره الى الديانة المسيحية مع اعتقادنا ان من آداب دين المسيح عليه السلام المبالغة في الاثار (الذي يعبر عنه القوم بانكار الذات) وهو ضد الأثرة التي يدعيها هذا الفيلسوف الالماني وغيره ، فهو ينافي طلب السلطة وانتزاع ملك الناس وملكهم بالقوة ، لاجل التمتع بالجاه والذرة ، لان من قواعد الانجيل ان يعطي المؤمن ماله لغيره ، فكيف يتفق هذا مع انتزاعه من غيره ما يملكه ؟ وأما الاسلام فهو وسط بين هذه المدنية المادية ، وبين زهد المسيحية ، فهو دين سيادة وسلطة مدنية ، وفضيلة أدبية روحية ، فلا يثار فيه فضيلة مندوبة ، وهو في المسيحية فريضة مطلوبة ، قال الله تعالى في وصف المؤمنين (ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة) . وأما قاعدة الاسلام في الاحكام فهي العدل والمساواة في الحقوق بين المؤمن والكافر ، والبر والفاجر ، والقريب والبعيد ، والحبيب والبغض ، قال تعالى (٥ : ٨) ولا يجر منكم شأن قوم على ان لا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى) والآيات في هذا

[الماز: ج ٣ م ١٨] المساواة بين المسلم وغيره في الاسلام ١٨٩

المعنى كبيرة أوردنا طائفة منها في الرد على الكاتب الأمريكي الذي زعم - فيما كتبه بمناسبة إلغاء الدولة العثمانية الامتيازات الاجنبية - ان الشريعة الاسلامية جاءت بعدم المساواة بين المسلم وغيره ، وبيننا هنالك انه لا تعرف شريعة في الارض قررت هذه المساواة غير الشريعة الاسلامية . وقد جرى على ذلك الخلفاء الراشدون على وجه الكمال ، وكان هو الاصل والقاعدة عند الامويين والعباسيين في القضاء . وانما وقع الشذوذ والخروج عنه في بعض الاحكام السياسية والعسكرية واقعة مساواة عمر بن الخطاب بين علي صهر الرسول وابن عمه وبين رجل من عامة اليهود ، وغلط عمر في تسمية اليهودي وتكنية علي ، واستياء علي منه لتفضيله اياه على خصمه بالتكنية ، واعترافه هو بأن ذلك خطأ - واقعة مشهورة معروفة . وقد جرى لعمر بن عبد العزيز ما يقرب منها :

قال الحكم بن عمر الرعياني : شهدت مسلمة بن عبد الملك يخاصم اهل دير اسحق عند عمر بن عبد العزيز بالناعورة ، فقال عمر لمسلمة : لا تجلس على الوسائد وخصماؤك بين يدي . ولكن وكل بخصومتك من شئت والا فإني ^(١) القوم بين يدي . فوكل مولى له بخصومته ففضى عمر عليه بانناعورة . ذكره الحافظ ابن الجوزي في سيرته

قلت أن هذه الواقعة تشبه واقعة علي مع اليهود . وأعني بالتشبيه المساواة في التكرام والاحترام بين الرفيع وان كان بيت النبوة أو الملك وبين سائر الناس حتى من غير المسلمين ، فعلي كان سيد آل بيت الرسول وعمادهم ، ومسلمة كان من بيت الملك فهو ابن عبد الملك بن مروان ، وناهيك بما كان لبني عبد الملك من العز والسلطان .

أما المساواة في الحقوق نفسها فكانت هي الاصل الذي يجري عليه كل الحكام الا من شذ لاسباب عارضة أو لفساد في خلق الشخص ووقائعها في عهد عمر بن عبد العزيز لا تحصى . وقد كان أول مظلمة رفعت اليه يوم توليته مظلمة

«١» اي اجلس بازائهم جاثيا على ركبتك مثلهم اذلا تميز في الخصومة بين ابناء الخلفاء والامراء وبين دهاء الناس كاهل الدير وغيرهم

١٩٠ رد عمر بن عبد العزيز لعطايا بني أمية [المنار: ج ٣ م ١٨]

ذمي من أهل حمص ادعى ان العباس بن الوليد بن عبد الملك اغتصبه أرضه ، قال عمر : يا عباس ماتقول ؟ قال أقطعنيها — أي الارض — أمير المؤمنين الوليد بن الملك وكتب لي بها سجلا . فقال : ماتقول يا ذمي ؟ قال يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله عز وجل . فقال عمر : كتاب الله أحق ان يتبع من كتاب الوليد بن عبد الملك ، اردد عليه يا عباس ضيعته . فردها عليه

وقد كان أهل بيت الملك من بني أمية تأثلوا ضياعا ومزارع كثيرة من بيت المال ، وكان لبعض الناس في بعضها حق أو مقال ، فلما ولي عمر بن عبد العزيز ردها ، وكان أول ما بدأ به رد ما كان له ولولده من ذلك

وروى انه استشار مولاة مزاحما في ذلك فقال : يا مزاحم ان هؤلاء القوم اعطونا عطايا والله ما كان لهم ان يعطونا اياها وما كان لنا ان نقبلها ، وان ذلك قد صار الي ليس عليّ فيه دون الله محاسب . فقال له مزاحم يا أمير المؤمنين هل تدري كم ولدك ؟ انهم كذا وكذا . قال فذرفت عيناه فجعل يستدمع ويقول . أكلهم الى الله تعالى . ثم ذهب مزاحم وذ كر ذلك لعبد الملك بن عمر عسى ان يكف أباه عن ذلك . فقال له عبد الملك : بئس وزير الدين أنت يا مزاحم . ثم وثب فانطلق الى بيت أبيه عمر فاستأذن عليه فقال له الا تذن : ان أمير المؤمنين قد وضع رأسه للقائلة . قال استأذن لي . قال : أما ترجمونه ليس له من الليل والنهار الا هذه الوقعة . قال عبد الملك : استأذن لي لا أم لك . فسمع عمر الكلام فقال : من هذا ؟ قال هذا عبد الملك . قال ائذن له . فدخل عليه وقد اضطجع للقائلة فقال : ما حاجتك يا بني في هذه الساعة . قال : حديث حدثني مزاحم . قال فأين وقع رأيك من ذلك ؟ قال وقع رأيي على انفاذه . قال فرفع عمر يديه وقال : الحمد لله الذي جعل لي من ذريتي من يعينني على أمر ديني . نعم يا بني ، أصلي الظهر ثم أصعد المنبر فأردها علانية على رؤوس الناس . فقال عبد الملك : ومن لك بالظهر يا أمير المؤمنين ! ومن لك ان بقيت الى الظهر ان تسلم لك نيتك الى الظهر ! فقال قد تفرق الناس ورجعوا للقائلة . فقال عبد الملك تأمر مناديك ينادي : الصلاة جامعة . فيجتمع الناس (قال اسماعيل بن أبي حكيم الراوي لهذه الواقعة وهو من رجال صحيح مسلم) فنادى المنادي : الصلاة

جامعة. فخرجت فأثنت المسجد فجاء عمر فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :
أما بعد فإن هؤلاء القوم قد كانوا أعطونا عطايا والله ما كان لهم ان يعطوناها ،
وما كان لنا ان نقبلها ، وإن ذلك قد صار اليّ ليس عليّ فيه دون الله محاسب . ألا
واني قد رددتها وبدأت نفسي واهل بيتي . اقرأ يا مزاحم .

قال الراوي : وقد جيء بسفط قبل ذلك - او قال جونة - فيها تلك الكتب .
فقرأ مزاحم كتابا منها فلما فرغ من قراءته ناوله عمر - وهو قاعد على المنبر ويده
جلم (أي مقص) فجعل يقصه بالجلم ، واستأنف مزاحم كتابا آخر فجعل يقرؤه فلما فرغ
منه دفعه الى عمر فقصه ، ثم استأنف كتابا آخر ، فما زال حتى نودي بصلاة الظهر
هذه هي أحكام الاسلام فمن خالفها كان خارجا عن هديه ، استعملوا القوة ، في
اقامة العدل مع الرحمة ، وبذلك ساد من ساد من خلفائهم ودولهم ، فقاعدتهم
« القوة للحق » وقاعدة المدنية الحديثة « الحق للقوة » وأما المتأخرون منا فهم
مذبذبون بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ، وما رأيت أصدق في وصف
القوم ووصفهم من قول شاعر بني العنبر أول شعراء الحماسة :

لو كنت من مازن لم تستبح إبلي بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا
إذا لقام بنصري معشر خشن عند الحفيظة ان ذو لؤثة لانا
قوم اذا الشر أبدى ناجذيه لهم طاروا اليه زركات ووحدانا
لا يسألون أخاهم حين يندبهم في النسائبات على ما قال برهانا
لكن قومي وان كانوا ذوي عدد ليسوا من الشر في شيء وان هانا
يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة ومن اساءة أهل السوء احسانا
كان ربك لم يخلق لخشيته سواهم من جميع الناس إنسانا
فليت لي بهم قوما اذا ركبوا شنو الاغارة فرسانا وركبانا

ومن ضرر العبرة في هذه الحرب ما نراه في أخبارها من الكذب والتناقض
والتعارض والتهاوتر والتمويه والتدليس وسوء التحريف وفساد التأويل ، يشترك في

١٩٢ الجرائد والرواية والتاريخ في الاسلام [المنار: ج ٣ م ١٨]

ذلك أصحاب الشركات البرقية . والجرائد السياسية ، حتى سرى الى المجالات التاريخية والعلمية ، بل لم يعد أحدهم من الناس يثق كل الثقة بالتقارير والبلاغات الرسمية لانهم يرون كل خصم يكذب خصمه في أخباره الرسمية . ولو سئل أصحاب الجرائد في كل قطر من الاقطار عن سبب ما ينكر عليهم مما ذكر — لا جابوا: ان سببه الاول تضيق حكوماتنا علينا ، وإلزامها إيانا عرض كل ما نكتبه على رقباها الذين سلبوا حرية الكتابة منا ، مع اجتهادنا في جعل ما نكتبه موافقا لمصلحتها ، وتجنبنا من تلقاء أنفسنا كل ما نرى ان نشره يخالف سياستها .

هذا عذر عارض ، والمشهور بين الناس ان الجرائد لا تتحرى الصدق فيما تنشره لاني أيام السلم وعهد الحرية ، ولا في أيام الحرب وعهد المراقبة ، وانها تعتمد الكذب والتمويه اذا كان لها في ذلك منفعة . والحق انها توارى فيها الصادق والكاذب ؛ والحق والباطل ، تجمع بين الدرة والبعرة ، وتأتي بالذرة واذن الجرّة ؛ وانني لا أشهد لجريدة من الجرائد التي أعرفها في الشرق انها تمثل حال البلاد التي تصدر فيها والامة التي تتكلم عنها تمثيلا صحيحا كما يعرفه المختبر للبلاد وللامة . ولو كانت هذه الجرائد في عصر رجال الجرح والتعديل من المحدثين ، لجعلوا أصحابها في عداد الوضاعين ، ولم يرتقوا بهم الى درجة الضعفاء أو المدلسين . كيف وقد ضعف بعضهم القاضي الواقدي وبعضهم قال انه كذاب وانه كان يضع الحديث . وهو من اكبر الحفاظ واشهر المؤلفين ، كتب عنه سليمان الشاذكوني كتابا ثم اتاه فسأله عما كتبه عنه قبل ان يخرج به ، فاذا هو لم يغير حرفا منه

لم تُعنَ أمة من أمم العلم بمثل ما عني به المسلمون من ضبط الرواية في القرون الاولى . فان كانوا دونوا في توارى بنحهم كل ما قيل ما صح منه وما لم يصح لاجل الجمع والاحصاء ، فالعمدة عندهم على الاسانيد ، فما كان محل الشبهة منها أمكن تمحيص الرواية فيه بالبحث عن رجال سنده . فاذا انفرد بعض الرواة أو المؤرخين بطعن في العلويين أو الامويين أو العرب — مثلا — يمكننا بالنظر في السند أن نعرف هل فيه أحد المتعصبين غير الثقات من النواصب أو الروافض أو الشعوبية فنتهمه بوضعه أم لا؟ وتحرير هذه المسألة لا يمكن الا بمقال طويل ، وعلى الله قصد السبيل .

مَدَامُ السَّيِّدَةُ دَارُ الدِّعْوَةِ وَالْإِسْتِثْنَاءِ

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صدقي

٥

الفرق بين الهواء الداخل الى الرئتين والخارج منها

الهواء الداخل الى الرئتين تركيبه عين تركيب هواء الجو أعني هكذا : —

أكسجين ٢٠.٩٦ في المائة (١)

» » ٧٩

نيتروجين
غاز حامض الكربوليك (وهو غاز ثاني أكسيد الفحم) ٠.٠٤ » »

بخار الماء
كميته مختلفة

وحارة هذا الهواء تختلف باختلاف الجهات والأوقات وغير ذلك

أما الهواء الخارج من الرئتين فتركيبه كما يأتي : —

أكسجين ١٦.٠٣ في المائة

» » ٧٩

» » ٤.٤٠

الهواء مشبع به

كحرارة الجسم

نيتروجين

غاز ثاني أكسيد الفحم

بخار الماء

الحرارة

فيفهم من ذلك أن النيتروجين لا تتغير كميته لعدم حاجة الجسم اليه من طريق التنفس فيذوب في الدم كما يذوب في الماء ولا عمل له في الجسم مطلقاً. وفائدة النيتروجين في الهواء تخفيف مقدار الأكسجين فيه، فإنا إذا استنشقتنا أكسجين

(١) هذه المقادير بالحجم لا بالوزن

(المجلد الثامن عشر)

(٢٥)

(المنار - ج ٣)

خالصا احترق جسمنا بسرعة كبيرة ونحف واحتجنا الى مقادير عظيمة من الطعام لتعويض هذا النقص الكبير فلذا اقتضت الحكمة الالهية تخفيفه بالنتروجين نعم ان النتروجين ضروري لتركيب جميع الخلايا الحية ولكنه يصل الى الجسم في الطعام وفي الشراب (كاللبن) لا بطريق التنفس — كما قلنا —

أما الأكسجين الداخل مع الهواء فكميته أكثر من كمية الخارج معه ، لانه يتحد مع هيموجلوبين الكريات الحمراء ويدور مع الدم فاذا وصل الى أنسجة الجسم جذبته اليها واتحدت به وهذا ما يسمى « بالاحتراق الداخلي » أو « التنفس الداخلي » اللازم حياة الجسم

وإذا اتحد الأكسجين مع أجزاء الجسم تولدت مواد أخرى بقاؤها ضار بالجسم ، فتدور مع الدم لتفرزها الاعضاء المختصة بذلك كالكليتين والجلد في البول والعرق

ومن هذه المواد الناشئة من الاحتراق الداخلي غاز ثاني أكسيد الفحم والماء وهذا هو السبب في زيادة غاز ثاني أكسيد الفحم والماء في الهواء الخارج من الرئتين وقد وجد علماء الفسيولوجيا أن الهواء الخارج من الصدر يشتمل أيضا على بعض مواد نيتروجينية عضوية ولكنهم لم يكتفوا الى الان ماهيتها ولا تركيبها وهي السبب في رداءة رائحة هواء الغرف المسكونة، وإذا تنفسها الانسان مرة أخرى أضرت بصحته ضررا بليغا يفوق ضرر استنشاق القليل من غاز ثاني أكسيد الفحم ، فان هذا الغاز لا يفسد تركيب أي جزء من أجزاء الجسم ، ولكنه اذا ملأ الجو مات الانسان اختناقا لعدم وجود الأكسجين فيه

المواد المختلطة بالهواء

ويوجد في الاهوية المفسدة غير ذلك أيضا مواد أخرى غازية ضارة بالانسان ضررا بليغا ومن أهمها الهيدروجين المكهرب وهو الذي يتولد من المراحيض وغيرها ، وهذا الغاز يفسد الدم ويضر بالجسم أيضا

وكذلك أول أكسيد الفحم فانه سام جدا ، وهو يتولد من الاحتراق الناقص للفحم ويوجد في الهواء أيضا ميكروبات وذرات مختلفة من التراب والمعادن والفحم

وغير ذلك، فالميكروبات تحدث أمراضا عديدة في الجسم الانساني، وتلك الذرات تحدث أيضا نزلات شعبية والتهابات رئوية مزمنة

لهذا كله يجب أن يكون الهواء المستنشق نقيا من كل ما تقدم فلا يكبر فيه أكسيد الفحم الناشئ من أنفاس الحيوانات والنباتات ليلا ومن اشتعال النيران، ويجب أن يكون هواء الامكنة المسكونة بعيدا عن المراحض، دائم التجدد، معرضا للشمس فانها تقتل كثيرا من ميكروباته، بعيدا عن الأتربة والمصانع التي تثير غبارا من المعادن وغيرها
سنة الله في الأكسجين والسكر بون

ولا يتوهم القارئ مما سبق أن كمية الأكسجين في الهواء آخذة في النقص شيئا فشيئا بسبب التنفس وبسبب النيران، فإن الله تعالى وضع لذلك سنة حكيمة ما يبقى الأكسجين في الهواء الى ما شاء الله، وذلك بأن جعل الورق الاخضر لجميع النبات يحلل (بتأثير أشعة الشمس فيه) غاز ثاني أكسيد الفحم فيمتص منه الفحم ويخرج الأكسجين. وهذا الفحم باتحاده مع عناصر أخرى تتركب منه أخشابها وما فيها من صمغ وسكر وزيت وغير ذلك. فكأن الفحم الخارج من الانسان وغيره من الحيوانات ضروري للأشجار فاذا أكل الانسان شيئا من هذه الأشجار عاد الى جسمه ثم يحترق فيه فيخرج في الهواء فيعود الى الشجرة، وهكذا كالدائرة

وبحركة الرياح (وهي ناشئة من اختلاف درجة حرارة الهواء) وبتموج ذراته وانتشارها توجد حركة دأمة في هواء الارض فتبعثر الأكسجين وتنتشره في جميع الجهات، ولولا ذلك لما انت الحيوانات التي في البقاع الحالية من الأشجار

ومن الخطأ العظيم تغطية الوجه أثناء النوم وكذلك غلق منافذ الغرفات مع وجود أشخاص فيها أو مصاييح وغيرها فان ذلك قد يقتل الانسان

أما ثاني أكسيد الفحم المتكون من الاحتراق الداخلي فانه يوجد في الدم لاذنبا فيه بل متحدا مع عنصر الصوديوم بصورة كربونات الصوديوم أو بيكر بونات الصوديوم، فاذا وصل هذان الملحان الى الرئتين خرج من البيكر بونات ثاني أكسيد الفحم

بطريق الاكسوسموز، ومما يساعده في خروجه الخلايا المبطنة للحويصلات الرئوية ففزره. وسبب حصول الاكسوسموز هو نقصان كمية ثاني أكسيد الفحم في الهواء، كما أن السبب في دخول الاكسجين من الهواء في الدم هو أيضا قلة الاكسجين في الدم عنها في الهواء. وقبل دخول الاكسجين للدم يذوب في الرطوبة التي تغطي جدران الحويصلات الرئوية ومنها يدخل للدم. ويجب أن لا يتوهم القارئ أن كل الهواء الذي في الحويصلات الرئوية يخرج منها أثناء الشيق، فالواقع أنه يخرج جزء منه ويبقى جزء آخر، وبطريقة الانتشار يسرع أكسجين الهواء الى الداخل لكثرته وغاز ثاني أكسيد الفحم الى الخارج لكثرته أيضا — كما سبق بيانه —

ثقل غازات الهواء

من تأمل في تركيب الهواء والفرق بين درجات ثقل غازاته وجد أن النيتروجين من أخفها، وغاز ثاني أكسيد الفحم من أثقلها، فلذا يتكاثر هذا الغاز الأخير بقرب سطح الأرض وفي الحفر وكلما ارتفع الانسان نقصت كمية هذا الغاز وزادت كمية النيتروجين، ولذا كثيرا ما سمعنا بموت أشخاص هبطوا الى أماكن منخفضة كالآبار وغيرها

أما الأكسجين فلكونه أثقل من النيتروجين يكثر في الهواء المجاور للأرض ويقل في جو السماء، يشعر بذلك من توغل [صعد] في جبل عال أو حلق في الجو بطيارة وأعظم علو أمكن للانسان أن يصل اليه في القباب الطائرة أو المناطيد أو الجبال هو ٨٨٣٨ مترا. أما الصعود بعد ذلك فيؤدي الى هلاك الانسان إما بنقص الأكسجين أو لانفكالك غازات الدم منه فتحدث أعراض خطيرة. ويتعسر التنفس أو يتعذر بسبب نقص كمية الأكسجين نقصا عظيما فلا يحدث الاندوسموز. زد على ذلك أنه اذا عاش الانسان بضع دقائق في ذلك المكان المرتفع حصل له نزف من الأنف أو الرئتين أو غيرها لثقل ضغط الهواء الجوي على جسم الانسان. ولتعلم أن الصعود الى نحو ٥٠٠٠ مترا لا يوافق جمهور الناس حتى المعتادين لذلك من سكان الجبال

أما ارتفاع هواء الجو فلا يقل عن ٣٠٠ كيلو مترا

التنفس الصناعي

إذا بطل تنفس الإنسان بسبب ما كاستنشاق الكلور وفورم أو الفرق في الماء أو استنشاق غازات الاحتراق أو غير ذلك مما يبطل التنفس أمكن إعادة الحياة إلى المصاب بطريقة « التنفس الصناعي » واستعمال المنعشات ونحوها بشرط أن لا تكون المدة قد طالت ، وأن لا تكون أنسجة الجسم قد بدأ فيها أقل شيء من الفساد

أما طريقة التنفس الصناعي فهي أن تزيل كل ما أمكنك إزالته مما قد يوجد في مجاري التنفس كالماء في الفم مثلًا بان تقلب المصاب على وجهه وترفع رجليه إلى أعلاه ثم تضعه على مكان عال لتتمكن منه وتخضع رأسه وتخرج لسانه بشده بمقبض (جفت) أو نحوه ثم تمسك بعنقه وتجذبهما إلى أعلاه رأسه ثم تخفضهما إلى جنبيه وتضغط بهما على صدره، ويستحسن أن يساعدك شخص آخر في ذلك الوقت بان يضغط على بطنه أيضا ليرتفع الحجاب الحاجز فيحصل الشيق بسبب ذلك، أما الزفير فان الذي يحدثه هو جذب الذراعين المذكور هنا . ويتكرر هذا العمل في الدقيقة الواحدة نحو خمس عشرة مرة ، ولا يصح اليأس من عودة الحياة الا بعد مضي نحو ساعة على الأقل . وفي أثناء هذا العمل توضع خرق مبتلة بالماء الحار على القلب أو ينبه الحجاب الحاجز بالضرب بمثل المنشفة على قسم المعدة وينشق المصاب (كبسول الأميل نيتريت) ويحقن بالاستركين أو الأثير أو غيرهما تحت الجلد ويحقن بجزء من الخمر أو الكحول في الشرج الى غير ذلك . فاذا فعلت جميع هذه الاشياء باستمرار عادت الحياة غالبا خصوصا اذا كانت ضربات القلب موجودة . ومن أحسن المستنشقات في ذلك الوقت غاز الاكسجين إن وجد

جهاز الهضممقدمة في الغدة

قبل البدء في الكلام على هذا الجهاز ينبغي أن نبدأ بتعريف كلمة « الغدة » لشدة الاحتياج إليها فيما سيأتي

تطلق هذه الكلمة على ثلاثة أنواع من أجزاء الجسم :-

(١) الغدة اللمفاوية وهي عبارة عن شيء كعقدة مركبة من عدة كريات تشبه كريات الدم البيضاء ، يمسك بعضها بجانب بعض مادة تسمى بالمنسوج الضام ، ووظيفتها تنقية المواد اللمفاوية من الميكروبات وغيرها ولذلك نجد كثيرا منها موضوعا في طريق الأوعية اللمفاوية بحيث تصب فيها ثم تخرج منها - كما سبق -

(٢) غدة الافراز وهي التي تخرج مواد كثيرة من الجسم بعضها له منفعة خاصة والبعض الآخر لا نفع له وإنما تخرجه لضرر بقاءه في الجسم . مثال الاول اللعاب والابن ومثال الثاني البول والعرق ، وقد يكون الشيء الخارج له نفع في الجسم ويضر بقاءه فيه كالكرة وهي المادة الصفراء التي يفرزها الكبد

وتتركب الغدد الافرازية من غشاء مجهري [ميكروسكوبي] يوجد على سطحه خلايا الافراز وتكون طبقة واحدة في الغالب ، وتوجد عدة طبقات منها في مكان شهير بالجسم وهو الخصية ، وعلى الجانب الاخر من هذا الغشاء المذكور توجد أوعية الدم ومنها تخرج المواد بطريق الاكسوسموز فتصرف فيها الخلايا وتخرج منها مواد كيميائية عجيبة التركيب

أما أشكال هذه الغدد فمنها الكيسي وذلك بأن ينبعج الغشاء الى جهة الأوعية الدموية فيتكون كيس صغير مبطن بالخلايا وله فوهة يخرج منها الافراز ومنها الأنبوبي وهي التي يكون لها تجويف كالأنبوبة لا كالكيس ، ومنها الأنبوبي المتفرع ، ومنها عنقودي الشكل ، ومنها المتوي .

ويلاحظ أن في هذا النوع من الغدد قناة في داخل الغدة الافرازية وفيها تجري مفرزاتها كالابن والعرق وغيرها

أما الضرب الاول من الغدد فلا قناة لها

وأما الضرب الثالث فهو أيضا لا قناة له وهو يشمل عدة أعضاء في الجسم كالطحال (وهو نوع من الغدد اللمفاوية) والغدة الدرقية والغدة السعترية في صدور الاطفال ، وغير ذلك مما سيأتي الكلام عليه في فصل خاص والذي يهمنا في الكلام على الهضم هو الضرب الثاني

تشرح الجهاز الهضمي ووظيفته

يبتدى هذا الجهاز بالفم ثم المري ثم المعدة ثم الامعاء الصغيرة والكبيرة وينتهي بالدبر. ويصب فيه عدة افرازات من غدد متنوعة لهضم الطعام ولغير ذلك، وتمر فيه الاغذية والاشربة في مدة تختلف من يوم الى يوم ونصف وقت تكون أقل من ذلك بكثير كاحوال الاسهال وقد تكون أكثر من ذلك في أحوال الإمساك

أما الفم ففيه اللسان والاسنان وغدد اللعاب وفي نهايته توجد اللوزتان ووظيفة اللسان هي تحريك الطعام ليمتزج باللعاب وليمكن مضغه وبلعه، ومن وظائفه أيضا الكلام كما سبق، وإدراك طعوم الاشياء وليمه مدار معرفة ما ينفع الانسان وما يضره من المأكولات والمشروبات. وإدراك الطعوم اللذيذة يحرك شهوة الطعام فيجيد هضمها

أما الاسنان فهي عادة نوعان: الاسنان اللبنية أو المؤقتة، والاسنان الدائمة، وقد ثبتت للشيوخ أسنان مرة ثالثة ولكنها مسألة نادرة الحصول أما الاسنان اللبنية فهي ٢٠ والاسنان الاخرى ٣٢ منها ١٦ في الفك الأعلى و١٦ في الفك الأسفل

وعلى الاسنان مدار جودة هضم الطعام لأنها تهشمه وتسحقه الى قطع صغيرة لتتمكن الأعصرة الهاضمة من الوصول الى جميع أجزائه، فمن ازدرد طعامه بلا مضغ أضر بجهاز الهضم خصوصا وبالجسم عموما، فيجب إطالة المضغ وإتقانه. ويجب علينا أيضا المحافظة على الاسنان وإلا أصابها العطب وفقدناها فنخسر جزءا عظيما من أجزاء جهاز الهضم. وأعظم شيء للمحافظة عليها هو تنظيفها جيدا وعدم استعمال شيء بارد على شيء ساخن في الفم أو بالعكس فان ذلك من أعظم ما يفسدها وأشهر أمراض الاسنان نوعان: -

(١) النوع الاول ان يصيبها الخفر (التسويس) وهو عبارة عن تفتت جزء من عظم السن وانكشاف لبه والتهاب هذا اللب فيحصل بسبب ذلك ألم شديد يحرم الانسان لذة النوم والطعام وتموت السن افساد أوعية الدم المغذية لها التي في داخل اللب. والميكروب المسبب لذلك يسمى (Leptothrix Buccalis) أي

«الشعرة الدقيقة الفمية» ويوجد في هذا المرض أيضا الاميبا^(١) الفمية [Amoeba] وعلاجه يكون باعدام العصب الذي في داخل اللب بمادة كاوية كحامض الفنيك أو الكريوزوت، وذلك يطهر اللب ويسكن الألم . والاولى أن يعدم اللب بأ كسيد الزرنيخوز - كما هي العادة - ثم يحشا التجويف بالذهب أو بمواد أخرى يعرفها أطباء الاسنان كالخزف، وهو أحسن من غيره

(٢) النوع الثاني داء ريج (Rigg) وهو مرض كثير الانتشار بين الناس يبدأ بالتهاب حول جذر السن في سمحاق العظم فتكون مواد صديدية وبضغظها على جذر السن يرتفع شينثا فشينثا حتى تسقط ، وهذا الداء هو سبب سقوط أسنان كثير من الناس ، وسببه دخول ميكروب خاص الى جذر السن من أي تقرح صغير في اللثة وهذا الميكروب يسمى (الاستربتوكوك^(٢)) (اللغابي) [Streptococcus] وهو يوجد عادة في أفواه جميع الناس، إلا أنه في بعض أحوال مخصوصة كضعف البنية بسبب متا - يتمكن من ايذاء الانسان فيدخل الى جذور الاسنان وهناك يفعل فعلته الشنعاء

ولا علاج ناجعا لهذا الداء سوى الحقن بميكروب المرض^(٣) المأخوذ من نفس المريض كما سيأتي توضيحه والا فالمبادرة الى قلع ما يصاب به من الاسنان والاستعاضة عنها بأسنان صناعية واستعمال المطهرات المتنوعة والنظافة التامة للغم مع تقوية البنية بالاغذية الجيدة والهواء النقي وغير ذلك . ومما يسكن الألم في هذا المرض استعمال مضمضة من الخل، وهي فائدة شائعة بين العامة

وأحسن طريقة لتنظافة الاسنان هي استعمال السواك خصوصا بعد كل طعام . وهو يؤخذ من شجرة الاراك ، وفيه مواد عطرية مطهرة بعض التطهير للغم ومعطرة

(١) اسم يوناني معناه « المتغير » يطلق على حيويين دقيق ذوخلية واحدة ، وهو دائم التغير لشكله ، وله حركة ذاتية

(٢) أي البزور السلسلية لوجودها بهيئة سلاسل حينما يراها الانسان بالمجهر . والكلمة يونانية

(٣) ذلك يشبه ان يكون مصداقا لقول الشاعر « وداوني بالتي كانت هي الداء »

له وتساعد على الهضم أيضا وهو يشد اللثة لقبض فيه . ويسمى الاراك بعض الافرنج (شجرة محمد) لحث الشريعة الاسلامية على استعمال السواك كما هو معلوم ، ولا يعني عنه الا استعمال المسفرة (الفرشة) مع بعض أدوية عطرية مطهرة قابضة ، ويجب عليها بعد كل استعمال والا تكاثرت فيها الميكروبات الضارة بالاسنان ، وكذلك يجب تجديد طرف السواك بعد كل استيائك
أسماء الأسنان ووقت ظهورها

أما أسماؤها فهي : — ثنيتان في الوسط وبجانبيهما رباعيتان ثم نابان ثم ضاحكتان ثم ست أرحاء ، ثلاث في كل جانب ، ثم ناجذان ، واحد في اليمين وآخر في اليسار وهما آخر الاضراس . وذلك في كل من الفكين الأعلى والأسفل
وقت ظهور الأسنان

الاسنان اللبنية تظهر في الطفل من الشهر السادس الى الرابع والعشرين على هذا الترتيب : —

الثنيتان السفليتان	٦ — ٩ أشهر
الثنيتان العلويتان والرباعيتان العلويتان	٨ — ١٠ أشهر
الرباعيتان السفليتان والضواحك	١٥ — ٢١ شهرا
الأنياب	١٦ — ٢٠ شهرا
الأرحاء	٢٠ — ٢٤ شهرا

وليس للطفل سوى أربع أرحاء في فمه ، وأسنانه كلها عشرون فقط وهذه المدد تقريبية فانها تختلف كثيرا بحسب بنية الاطفال واختلاف أمزجتهم وغير ذلك ، فمنهم من يولد وفيه اثنايا ظاهرة ، ومنهم من يتأخر ظهور أسنانه الى نهاية السنة الثانية أو الى عدة سنين بعدها

وفي وقت ظهور الاسنان تصاب الاطفال عادة ببعض اعراض مرضية كالاسهال والقيء والحُمى والضعف . ومتى كملت اسنان الطفل العشرون يمكث بها الى السنة السادسة أو السابعة ثم يظهر خرس (رحي) خلفها في السنة السادسة أو السابعة وتسقط (المنار ج ٣) (٢٦) (المجلد الثامن عشر)

[المنار : ج ٣ م ١٨]

طعام الانسان الطبيعي

٢٠٢

بأقي الأسنان واحدة بعد الأخرى ويظهر مكانها غيرها على هذا الترتيب : —

في السنة السادسة : الأرحاء الثانية

» » السابعة : الثنايا

» » الثامنة : الرباعيات

» » التاسعة : الضواحك

» » العاشرة : الأرحاء الأولى

» » ١١ — ١٢ : الأنياب

» » ١٢ — ١٣ : الأرحاء الثالثة

» » ١٧ — ٢٥ : النواجذ

فترى من هذا أن الأسنان التي تظهر في السنة ١٢ أو ١٣ يمكث الشاب بها إلى السنة ١٧ فيظهر ضرس العقل أو الحلم وهو الناجذ إما في هذه السنة أو فيما بعدها إلى ٢٥ أو ٣٠ وفي النادر أن يتأخر عن ذلك

أما أسنان الشيوخ — أن ظهرت — فيكون ظهورها بين السنة ٦٣ و ٨١

وجوب أكل الانسان اللحم والنبات

بالتأمل في أسنان الحيوانات المختلفة نرى أن آكلة اللحوم أسنانها حادة جدا ، أما أسنان الحيوانات الآكلة للنباتات ونحوها فهي كيلة ، وأسنان الانسان متوسطة في حدتها بين الطرفين . وكذلك إذا نظرنا في مقياس أمعاء الحيوانات المختلفة نجد أن أمعاء آكلة اللحوم قصيرة وآكلة الخضر والنباتات طويلة وأمعاء الانسان وسط بينهما ، وذلك يدلنا على أن الانسان بطبيعته يجب أن يأكل اللحم والخضر والنبات جميعا ، وفي ذلك اعظم دليل على خطأ مذهب النباتيين فإنه مخالف للطبيعة البشرية ، هذا وقد وجد أن الفيران البيضاء وهي التي لا يؤثر فيها ميكروب الجرمة الحبيثة تتأثر به إذا غذيت بالنباتات فقط . فلا يبعد أن يكون الانسان كذلك بمعنى أنه يصير عرضة لبعض الأمراض إذا اقتصر على الخضر والنبات (راجع صفحة

١٧٩ من كتاب Manual Of Bacteriology تأليف Hewlett)

اللعاب

يتواجد اللعاب من غدد مخصصة وهي ثلاث: الغدة الذكفية وموضعها تحت الأذن وأمامها، وتسمى أيضا الاذنية، ولها قناة تمتد منها الى الفم تسمى قناة ستنسون (Stenson) وفتحتها بقرب الرحي الثالثة للفك الاعلا والغدة الثانية تحت الفك الأسفل ولها قناة تسمى قناة هوارتون (Wharton) تصب بجانب قيد اللسان، وفتحتها مرتفعة قليلا كحلمة صغيرة والغدة الثالثة تسمى « الغدة التي تحت اللسان » لأنها تحت الغشاء المخاطي المتكون منه قيده، ولها عدة قنوات بعضها يفتح في الفم مباشرة وهو الأكبر والبعض الآخر تتكون منه قناة أكبر تصب في قناة هوارتون المذكورة واللعاب مركب من ماء وزلال وأملاح متعددة ومادة مخصصة تسمى «اللعابين» وهي أهم مافيه. « واللعابين »^(١) من الحماض التي سيأتي توضيحها في الفصل التالي. وفي لعاب الانسان أيضا آثار من مادة سامة جدا لا تعرف فائدتها الآن، وربما كانت مما يقتل الميكروبات. ووظيفة اللعاب أن يرطب الطعام حتى يسهل مضغه وازدراده ويذيب بعض مواده ليذكر طعمها وهو ضروري للنطق الفصيح ويهضم المواد النشوية التي في الطعام فيحولها الى سكر يسمى الملتوز (أو سكر الشعير)^(٢) ويستمر تأثير اللعاب في المواد النشوية حتى بعد وصولها الى المعدة بنحو ربع أو نصف ساعة حتى يفسد عصير المعدة الحمضي مادة اللعابين فيبطل تأثيرها في النشا. واللعابين لا يهضم النشا غير المطبوخ لانه لا يؤثر في مادة « السللولوز » المحيطة بذراته، وهي مادة الخشب أيضا

(١) في اصطلاح علم الكيمياء كثيرا ما يتركب اسم المادة الفعالة في الشيء بإضافة (ين) إليه فمثلا (البنين) هو اسم المادة الفعالة في البن أو القهوة ولذلك يسمى أيضا (القهوين) وهكذا. فاللعابين مادة اللعاب الفعالة في الهضم وقد جاربنا هنا الاقترن في هذا الاصطلاح كما جاربناهم في غيره مما سبق بيانه لسبقهم لنا في العلم والاختراع والاكتشاف

(٢) سمي بذلك لانه يتولد في الشعير النابت (Malt) وغيره لتغيرات كيميائية تحصل في نشائه اذا ابتل بالماء

اللوزتان

أما اللوزتان فهما غدتان لمفاويتان موضعهما على جانبي الحلق في منتهى الفم يخرج منهما كريات بيضاء تمتاز باللعب أو تسير في الدم . وفائدتهما قتل بعض الميكروبات بهذه الكريات البيضاء وقتل ما يقف عليهما من الميكروبات أيضا أو يدخل فيهما ، فهما كحصنين يقتلان ما اقترب منهما ويبعثان بجنودهما في اللعاب لقتل بعض الأعداء التي تحل في أجزاء الفم المتنوعة . وهذان الجسمان كثيرا ما يحصل فيهما التهاب تحدث عنه الحمى ويمرض الجسم بسببها ، وعلة حصول هذا الالتهاب ضعف البنية ودخول ميكروبات كثيرة فيهما فيزداد حجمهما وتكثر كرياتهما ليتغلبا على هذه الميكروبات ، فإن نجحنا حفظا الجسم من خطر عظيم - وإن كان الإنسان يمرض بضعة أيام أثناء هذه الحرب - وإن غلبا تكون فيهما خراجات أو أفلت بعض الميكروبات منهما إلى الدم فتنشأ عن ذلك أمراض متنوعة كالروماتزم (الرثية) وآفات القلب وغير ذلك . ويقل التهابهما في الأقوياء لأن كرياتهم البيضاء تكون قوية فتقتل الميكروبات بسهولة بدون حاجة إلى إثارة حرب عامة

كلمة في الخماثر

يحصل تخمر الأشياء بسبب وجود ميكروبات مخصوصة ، ومن أشهر أنواع هذه الميكروبات ما يحول السكر إلى غول (كحول) ^(١) وغاز ثاني أكسيد الفحم ، ولهذا التخمر سميت الخمر خمر في أحد الأقوال . وهو السبب في فورانها وحرارة طعمها ومن الميكروبات ما يحول بعض أنواع السكر (سكر اللبن) إلى حامض اللبنيك ، وهو السبب في حموضة اللبن فإذا أمكننا منع الميكروبات من الوصول

(١) يسمى الكحول بالفرنسية (Alcool) وهو روح الخمر أو المادة الفعالة فيها وهي سبب جميع شرورها ومضارها ، ويقول الأفرنج إنهم أخذوا هذه الكلمة عن اللغة العربية ، فالظاهر أنها مأخوذة من كلمة « غول » الواردة في وصف خمر الجنة في قوله تعالى (لافيهما غول) وهو ما يعتال العقول ويفسد الصحة (ولا هم عنها ينزفون) أي لا يسكرون منها لعدم وجود تلك المادة الضارة في خمر الآخرة وعليه فسنتعمل في كتابنا هذا كلمة (غول) بدل كلمة كحول أو (Alcool) والمراد بها ما يسمونه (السبرتو) (Spirit)

[المنازل: ج ١٨] المكروبات والخائثر . الطعام بعد المضغ ٢٠٥

إلى الأشياء أو قتلها فيها بطل كل تخمر أو تعفن ، فإذا أردنا حفظ اللبن مثلا من أن يَخثر وجب أن نغليه غليا جيدا ونضعه في زجاجات معقمة (مطهرة) بحيث لا يصل إليه أي ميكروب ، فيبقى سليما من الفساد طول الدهر ، وهذه الطريقة مستعملة في جلب الألبان إلينا من البلاد الأجنبية كسويسرة وغيرها

ومن هذا يتضح أن السبب في الفساد والتعفن هو هذه الميكروبات ، وتسمى بالخائثر أما فعل هذه الميكروبات فهو إفراز مواد مخصوصة لها تأثير كيميائي في الأجسام ، وهذه المواد المفرزة يسمونها أيضا بالخائثر . وعلى ذلك فالخائثر نوعان : الميكروبات نفسها ومفرزاتها ، وكما أن إفراز هذه الميكروبات سمي بالخائثر كذلك يسمى بعض إفرازات الجسم بالخائثر أيضا لأنها تؤثر في الأجسام تأثيرا كيمياويا فتحدث فيها تغييرا بالتركيب والانهلال كتأثير إفراز الميكروبات ، وذلك مثل اللعاب الذي سبق ذكره في ألعاب . وسيأتي ذكر غيره في بحث مفرزات (عصارات) المعدة والأمعاء . وهذه الخائثر كلها تقريبا مواد آزوتية ، إما زلالية أو قريية من الزلالية — بحسب ما نعلم الآن — ما عدا الييسين فيقال أنه لا ينتروجين فيه

ومن الغرائب أن إفراز الميكروبات إذا كثرت يقتل نفس الميكروبات التي تولده كما في الخمر مثلا فإن غولها يقتل ميكروباتها وغيرها ، وإذا غلي الشيء الذي فيه هذه الخائثر بنوعها ماتت الميكروبات وفسدت الخائثر فيبطل عملها . ومن الخائثر المشهورة مادة تستخرج من غشاء المعدة الرابعة للحيوانات المجترة كالعجول تسمى بالأنفحة ، وفائدتها تحويل اللبن إلى جبن

والميكروبات هي نباتات مجهرية ، بعضها يحتاج لأوكسجين مطلق ^(١) يعيش فيه ، والبعض الآخر يعيش بغير أوكسجين مطلق

بقية الكلام على جهاز الهضم

يندفع الطعام بعد الفم إلى الملقوم ، وهو تجويف ينفتح فيه تجويفا الأنف والفم ثم الحنجرة ، وفي أسفله المريء

وفي جدران الملقوم غدد لمفاوية تشبه في منسوجها اللوزتين ، ووظيفتها

(١) أي غير متحد بشيء يتقيد به

٢٠٦ المريء . المعدة وعصيرها . مدة الهضم [المنار : ج ٣ م ١٨]

كوظيفتهما أي أنها تقتل الميكروبات كما سبق
أما المريء فهو أنبوبة لحمية تمتد من الحاقوم الى المعدة وطولها من ٩ الى ١٠
بوصات ، ويدخل في تركيب جدرانه ألياف عضلية تكون في نحو ثلثه الأعلى اختيارية
وفي الباقي غير اختيارية ، وهو مبطن بغشاء مخاطي كالمعتاد ، وفي المريء يمر الطعام
إلى المعدة

وأما المعدة فهي ككيس كثرى الشكل تحت الحجاب الحاجز في البطن ،
ولها فتحتان : الأولى منهما متصلة بالمريء وتسمى « بالفؤاد » لقربها من القلب ،
والفتحة الثانية تسمى « بالبواب » والمعدة مركبة من ألياف عضلية ومبطنة بغشاء مخاطي
وسطحها الخارجي مغطى بغشاء مصلي وهو جزء من البريتون (١)

وفي الغشاء المخاطي عدة غدد لإفراز العصير المعدي . وتتحرك المعدة حركة
غير اختيارية بما فيها من الألياف العضلية وهذه الحركة تشبه مخض اللبن ويراد بها
مزج الطعام بالعصير المعدي حتى ينهضهم الهضم الأول

أما العصير المعدي فأهم ما فيه من المواد هو حامض الهيدروكلوريك (٢)
(بنسبة ٢ في الألف) ومادة يسميها الأفرنج (Pepsin) ونسميها بالعريسة
« الماضوم » وهي خيرة تفرزها الغدد المعدية ، ويقال إنها خالية من النيتروجين
— كما سبق — وعلى ذلك فهي ليست من المواد الزلائية . ووظيفتها تحويل
المواد الزلائية الى مادة أخرى تسمى بالأفرنجية (Peptone) (أي الماضوم) وذلك
بضم عناصر الماء الى ذرات المواد الزلائية ثم انقسامها فتحدث هذه المادة البيبتونية ،
وهي سهلة الذوبان سهلة الامتصاص لكون ذراتها أصغر من ذرات الزلال

وأما الطعام فإنه يمكث في المعدة نحو أربع ساعات فيها يحصل هذا الهضم
المذكور في المواد الزلائية، ويتحول سكر القصب الى مادة أخرى سكرية ، وتقتل
جميع الميكروبات تقريباً بما في هذا العصير المعدي من الحامض فيصير الطعام
طاهراً لكيلا يضر بالجسم ، فإذا حدث للمعدة ما يقلل إفراز هذا الحامض أو يمنعه

(١) هو الغشاء المغشي للأحشاء البطنية، ومنه جزء كالتدليل يسمى بالثرب، ويمكننا
أن نسمي البريتون بالعريسة (الغشاء المحيط) (٢) مركب من هيدوجين وكورين

[المنار : ج ٣ م ١٨] الامعاء والزائدة الدودية . دارون ٢٠٧

أمكن دخول ميكروبات أو ديدان الى الامعاء ، أو الى الجسم نفسه
هذا كله هو وظيفة المعدة ، ولا تأثير لها في المواد النشوية ولا في المواد الدهنية
الا بأسالتها وبهضم ما أحاط بها من الغلف الزلالية . والمصارة المعوية لا تنفرز الا
وقت الطعام

وأول انفتاح للبواب يحصل بعد نحو ٢٠ دقيقة من نزول الطعام في المعدة
فير الى الامعاء جزء مما في المعدة ، ثم ينغلق البواب ، ثم يتتابع هذا الفتح
والانغلاق في البواب وتأخذ مدة انغلاقه في القصر ومدة انفتاحه في الطول حتى يمر
الطعام الذي في المعدة شيئاً فشيئاً الى الامعاء بحيث يمر كله في نهاية الساعة
الرابعة تقريباً

وبعد المعدة توجد الامعاء الصغيرة أو الدقيقة ثم الامعاء الكبيرة أو الغليظة
أما الامعاء الصغيرة فطولها نحو من ٢٠ قدماً ، وتقسم الى ثلاثة أقسام :
(١) الاثنا عشري ، وطوله ١٢ أصبعاً أو ١٠ بوصات وفيه يحصل الهضم الاعظم
للطعام كما سيأتي تفصيله (٢) الصائم ، سمي بذلك لوجوده فارغاً بعد الوفاة عند
تسريح الجثة ، يبلغ طوله خمسي الامعاء الصغيرة الباقية بعد الاثني عشري (٣)
الفائف ، وهي الثلاثة الأخماس الباقية من الامعاء الصغيرة

وأما الامعاء الكبرى فتبتدى من الخفرة الحرقفية اليمنى بما يسمى (بالاعور)
وفي أسفله مصير صغير كالوددة يسمى بالزائدة الدودية ، وفيها يحصل مرض
مشهور هو التهابها الذي قد يكون سبباً في وفاة الشخص ان لم يتداركه الاطباء بالعلاج
الفعال . وهذه الزائدة هي أحد الاعضاء الاثرية الشهيرة في جسم الانسان التي
لما ينته الناس الى حل لمعناها أحسن مما ذهب اليه دارون ^(١) وقيل ان لها افرازا

(١) هو العلامة الانكليزي (تشارلس دارون) عاش بين سنة ١٨٠٩ و ١٨٨٢ ميلادية . وقد ذهب الى أن الأنواع الحية ليست ثابتة ، ولم يخلق كل منها مستقلاً
عن غيره بل نشأ بعضها عن بعض بالتغير التدريجي البطيء مع طول الزمان لعوامل
طبيعية بينها بيانا شافيا . وقد توسع العلماء في هذا المذهب حتى طبقوه على كل
شيء في هذا الوجود فصار يشمل الجماد والامور المعنوية كالأفكار واللغات =

يحدث لنا فتطرد المواد البرازية وترتفع في القولون مضادة للجذب الارضي في الحيوانات المنتصبة القامة (القرد والانسان) ولذلك لا توجد في الحيوانات الأخرى، واذا استئصلت حدث امساك متعاص مستديم يؤدي الى ضعف الجسم ومرضه كما دلت عليه تجاربهم على ما قالوا

وبعد الاعور يوجد القولون ^(١) وهو أربعة أقسام القولون الصاعد والقولون المستعرض والقولون النازل والتعرج السيني

ثم المستقيم الذي ينتهي بالشرح وهو فتحة الدبر

وطول الامعاء الكبيرة يختلف من ٥ الى ٦ اقدام

والامعاء مركبة من الطبقات الآتية (١) طبقة مصلية وهي من البريتون الذي سبق ذكره (٢) طبقة عضلية مركبة من طبقتين : مستطيلة وحلقية ، فالمستطيلة في الخارج والحلقية في الداخل (٣) الغشاء المخاطي ويفصله عن الطبقة العضلية (٤) طبقة رابعة فيها تنفرغ أوعية عديدة دموية ولفاوية وأعصاب دقيقة . وفي الطبقة المخاطية غدد كثيرة لا فراز العصير المعوي ، منها نوع في الاثني عشري يسمى بغدد (بروتر) ^(٢) ونوع آخر في الامعاء كلها يسمى بغدد (ليبر كهن) وهي من الشكل الأنبوبي البسيط . ويوجد غير ذلك في الغشاء المخاطي وتحتة منسوج لفاوي ، بعضه يتكون منه غدد صغيرة تسمى (بالغدد المنعزلة أو الوحيدة) والبعض الآخر يتجمع على شكل بيضاوي يحدث بقعا في طول جدران المصران تسمى يقع باير (Peyer) ^(٣) وهي توجد بكثرة في اللفائف

وفي هذه الغدد اللفاوية بنوعها يحصل التهاب بسبب ميكروب مخصوص فتحدث

== والمعتقدات والشرائع وغير ذلك . فمحصل هذا المذهب أن الكون بما فيه لم يخلق دفعة واحدة بل خلق أطوارا طبقا لسنة التدرج والترقي . فالمذهب في الجلة صحيح لاشك فيه ، ويكفي في إثباته قوله تعالى (وقد خلقكم أطوارا) وانما النزاع في بعض تفاصيله ، وسنعود الى بيان ذلك في فرصة أخرى ان شاء الله تعالى

(١) القولون اسم هذه الامعاء الغليظة باليونانية ، والكلمة من تعريب المتقدمين

(٢) نسبة لعالم ألماني يدعى « فون برون »

(٣) مشرح سويسري عاش بين سنة ١٦٥٣ و ١٧١٢

[المنار: ج ٣ م ١٨] الخمل . الصمامات الهلالية . البنكرياس ٢٠٩

عنه الحصى المعروفة بالتيفودية أو الحصى المعوية وهذه البقع المنسوبة لباير لا توجد في الأمعاء الغليظة وإنما توجد فيها الغدد المنعزلة فقط — وهي التي تكثر جدا في الأعور والزائدة الدودية —

وبالتهاب هذه الغدد التي في الأمعاء الغليظة مع الأغشية المخاطية وتقرحها يحصل المرض المسمى بالدوسنتاريا (الزحار) سمي بذلك في العربية لأنه يحدث منه زحير شديد متكرر، ومن أعراضه أيضا المغص الشديد والحصى والسعال مع نزول مواد مخاطية دموية صديدية متكررة بمقادير صغيرة في كل دفعة وفي الغشاء المخاطي للأمعاء الصغيرة ما يسمى بالخمل وهو كالأهداب لهذا الغشاء، وهو أعظم آلات امتصاص المواد الغذائية. وفيه أيضا غير ذلك ما يسمى بالصمامات الهلالية لكركنج (Kerkring) وهي عبارة عن ارتفاعات تتكون من ثنيات الغشاء المخاطي على نفسه، وفائدتها أن تعوق سير الطعام حتى يهضم وأن تكبر سطح الغشاء المخاطي للأمعاء ليكثر إفرازه وامتصاصه للمواد المهضومة، ولذلك يتبدى وجودها بعد البواب بأصبعين أو ثلاثة وتكثر شيئا فشيئا خصوصا في الاثني عشري والصائم وكذلك تكبر تدريجا، ثم تأخذ في القلة والصغر حتى تنتهي في منتصف الفائف. ولا وجود لها في الخمل في الأمعاء الكبيرة لقلة الامتصاص وعدم الهضم فيها

والحكمة في وجود الغدد اللمفاوية المذكورة آنفا هي حفظ الجسم من دخول الميكروبات فيه ولذلك تكثر في الفائف وفي الأمعاء الغليظة حيث يكثر التعفن والفساد لخلو هذه الأجزاء من العصارات المطهرة، بخلاف المعدة فإن عصيرها مطهر كما سبق، والصفرء في الاثني عشري من وظائفها أيضا تقليل تعفن الطعام

ويصب في الأمعاء الصغيرة قناتان عظيمتان: إحداهما من عضو يسمى باليونانية (البنكرياس) ويمكننا أن نسميه بالعربية (الغدة الجسدية) والآخرى هي قناة الكبد تحمل المرة (الصفرء) إلى الأمعاء، وهاتان القناتان تجتمعان معا عند نهايتهما وتصبان بفتحة واحدة غالبا في الجزء النازل من الاثني عشري في الجهة الانسية منه

٢١٠ خُثائر الهضم الرابع . الكبد ووظائفها [المنار: ج ٣ م ١٨]

أما البنكرياس (الغدة الجسدية) فهي أهم غدة في الجهاز الهضمي كله ، طولها نحو ٦ الى ٨ بوصات ، وموضعها خلف المعدة وموضعها مستعرض بالنسبة للجسم امام الفقرة القطنية الاولى . وتفرز عصيرا فيه خُثائر أربع هامة جدا كل منها يهضم جزءا مخصوصا من الطعام (إحداها) الهاضوم الزلالي^(١) لهضم جميع المواد الزلالية كاللحم والبيض فيحولها الى المادة المسماة (بيتون) وهو أقوى من هاضوم المعدة المسمى ببسين بكثير (الثانية) الهاضوم النشوي وهو الذي يحول المواد النشوية الى سكر الشعير وهو أيضا أقوى بكثير من [اللايين] حتى انه يؤثر في النشاء غير المطبوخ . ولا يوجد هذا الهاضوم في أمعاء الاطفال الرضع قبل الشهر السادس ولذلك كان من الخطر عليهم أن يطعموا أي مادة نشوية كالبطاطس والخبز ؛ فان ذلك يفسد جهازهم الهضمي ويضعف صحتهم فيصابون كثيرا بالاسهال وغيره وبداء الكساح (Rickets) (الثالثة) الهاضوم الشحمي ووظيفته أن يحدث مستحلبا مع المواد الشحمية أو الدهنية ويحللها أيضا الى جلسرين^(٢) وحوامض شحمية ، وكلاهما سهل الامتصاص . وقد يتحد بعض هذه الحوامض مع البوتاسيوم أو الصوديوم فيتكون من ذلك الصابون ، والصابون أيضا سهل الامتصاص ؛ فاذا امتصت هذه الاشياء عادت الى شحم كما كانت (الرابعة) خبيرة تشبه الأنفحة وظيفتها تحويل اللبن الى جبن ، وهذه أقل الخُثائر المذكورة تأثيرا في الهضم

والعصير البنكرياسي قلوي التأثير بخلاف العصير المعدي فانه حمضي أما الكبد فهي أكبر عضو في الجسم ، وموضعها الجهة اليمنى من البطن تحت الحجاب الحاجز مباشرة . ولها وظائف عديدة فهي تفرز المرّة (الصفراء) وتخزن فيها أكثر المواد السكرية وبعض الزلالية بعد ان تتحول الى النشاء الحيواني (جليكوجين) لحين الحاجة اليها فتحولها ثانية الى سكر يخرج منها مع الدم ليحترق في الجسم خصوصا في عضلاته ، وهذه الوظيفة هي من أكبر وظائفها ، وتكون أيضا حامض البولييك والبولينا لتفرزهما الكلى ولولا ذلك لتراكمت بعض المواد الضارة بالجسم

(١) اذا أطلقنا هذه الكلمة أردنا بها الهاضوم المعدي المسمى باليونانية ببسين

(٢) كلمة يونانية معناها حلو

ومن وظائفها أيضا أنها تصفي المواد التي انهضمت في الأمعاء وتنقيها من
الميكروبات ومن بعض السموم وذلك أثناء مرورها فيها ولذلك اقتضت
الحكمة الإلهية أن تجتمع جميع الأوردة الالتهية من القناة الهضمية ويتكوّن منها
وريد واحد هو الوريد الذي يسمى (الباب ^(١)) الذي يجتمع فيه ما انهضم من
الزلال والسكر وبعض الشحم فيصل الى الكبد وهناك تفرز منه الصفراء وينقي
أما المرة (الصفراء) فهي إفراز ضار بقاءه بالجسم ، فلذا تنصب في الأمعاء
لتخرج مع البراز وهي السبب في تلون البراز باللون الممهود ، وجزء من الصفراء
لا يخرج مع البراز وإنما يمتص ثانية في الجسم فتفرزه الكلى وهو السبب في تلون
البول باللون المعروف . وفي الاجنة تتجمع الصفراء في أمعائهم حتي إذا ولدوا نزل البراز
من أمعائهم أسود اللون ويسمى (بالعمقي)

ولا يتوهن القارئ مما ذكر ان الصفراء لا فائدة لها في الهضم بل هي أكبر
ما يعين العصير البشري على هضم جميع المواد المذكورة سابقا وخصوصا المواد
الدهنية ، والصفراء تقلل التعفن والفساد كما قلنا ، وهي أيضا منبهة للحركة الدودية
للأمعاء ، ولذلك يعرض لمن احتبست فيه الصفراء - بأن انسدت - مجاريها ما يسمى
(باليرقان) فيصفر جميع جسمه ويحصل له امساك متكرر ويرى في برازه شحم
غير مهضوم وتكون له رائحة كريهة جدا

أما مجاري الصفراء فهي في مبدئها مجهرية (ميكروسكوبية) وتبتدى من
داخل الخلايا الكبدية وتجري فيما بينها وتتجمع هذه القنوات بعضها مع بعض حتي
تكبر شيئا فشيئا الى ان تنتهي بقناتين عظيمتين : احدهما تخرج من الفص الايمن
الكبد ، والاخرى من الفص الايسر لها وتجتمعان معا فيحدث منهما قناة واحدة .
وفي أسفل الكبد كيس صغير يسمى بالحويصلة الصفراوية (المرارة) لها قناة
أيضا تتحد مع قناة الكبد وتتكون منهما القناة الكبرى المسماة (بالقناة المشتركة)
التي قلنا انها تنصب في الاثني عشري . وفائدة هذه الحويصلة أن تكون مستودعا

(١) سمي بذلك لأنه يحمل الأغذية والاشربة بعد الهضم الى الكبد ومنها
الى الجسم ، فكأنه باب لدخول الطعام والشراب الى البدن

للمرة في وقت عدم الحاجة اليها
وإذا انسدت القناة الكبدية وحدها حصل اليرقان وكذلك إذا انسدت
القناة الكبرى ، أما إذا انسدت قناة الحويصلة فقط كبرت هذه بسبب افراز مواد
مخاطية من باطنها وحدث كيس تحت الكبد ، و بانسداد هذه القنوات السالفة الذ كر
بخصيات كبدية تكون غالبا في الحويصلة يحصل المغص الكبدي
وإذا انعكست حركة الامعاء بحيث تعود الصفراء الى المعدة من البواب حصل

القيء الصفراوي ، وهو مر الطعم

أما لون المرة فسيبه اشتغالها على مواد ملوثة لا تختلف عن هيموجلو بين الدم إلا
بعدم وجود الحديد فيها ، وذلك لان الكبد من المواضع التي تباد فيها
الكريات الحمراء القديمة فتأخذ الكبد منها الهيموجلو بين وتفصل منه الحديد
وتلقي بالباقي في افرازه وهو السبب في تلون المرة باللون المعروف . أما الحديد فان
الكبد تركبه مع غيره من العناصر ويخرج منها في الدم فاذا وصل الى تقو العظام
امتزج بكريات (خلايا) هناك فتنشأ منها الكريات الحمراء
ولوجود مادة الحديد في خلايا الكبد كانت الكبد من أحسن المآكل المغذية

المجددة ، للدم غير أنها أعسر هضما من الاحوم البيضاء

اما جميع المواد النشوية والسكرية المهضومة فانها تمتص في الدم بعد أن تتحول
الى سكر العنب ، فاذا وصلت الى الكبد حجز منها مؤقتا ما زاد عن حاجة الجسم
بصورة النشاء الحيواني المذكور (الجليكوجين) وهذا النشاء يتحول شيئا فشيئا
كلما احتاج الجسم اليه الى سكر العنب مرة أخرى ويسير في الأوردة الكبدية
ويدور مع الدم فيغذي أنسجة الجسم وعضلاته وفيها يحترق فيتحول الى ثاني
أكسيد الفحم والى الماء — كما سبق —

واعلم ان الطعام الذي تم هضمه في المعدة وسار منها الى الاثني عشري

يسمى (الكيموس) وهي كلمة يونانية معناها العصير

أما الأمعاء فانها تفرز عصيرا آخر أهم وظيفة له تحويل سكر القصب وسكر
الشعير الى سكر العنب ، ولها أيضا بعض التأثير في المواد النشوية فتحوها الى سكر

ومما تقدم يفهم أن أجزاء الطعام الاصلية تتحول قبل امتصاصها كما يأتي — :

(١) الماء والاملاح لا تتحول الى شيء وتمتص كما هي
(٢) المواد الزلالية ^(١) تحولها عصارات المعدة والبنكرياس الى بيتون
ولكنها عند امتصاصها تحولها خلايا الغشاء المخاطي للأمعاء الى مواد زلالية أخرى
مثل التي في الدم

(٣) المواد الشحمية والدهنية يمتص جزء منها كما هو ، وأكثرها ينحل بالعصير
البنكرياسي الى جلسرين وحوامض شحمية — كما تقدم — وكل من هذه
الحوامض والجلسرين سهل الامتصاص ، ولكن في أثناء مرورها خلال الغشاء
المخاطي للأمعاء تحولها خلاياه الى شحم أو دهن كما كانت من قبل انحلالها ، وبعض
الحوامض يتحد مع صوديوم المرّة فيتكون صابون وهو سهل الامتصاص ويساعد
أيضا على امتصاص الشحم كما هو ، فالشحم يهضمه عصير البنكرياس مع المرة بعد
أن يحولاه الى (مستحلب) وذلك مما يعين أيضا على هذا الهضم والامتصاص
(٤) أما المواد النشوية فانها تتحول باللعاب والعصير البنكرياسي الى سكر
الشعير ، ثم يتحول هذا السكر وسكر القصب — ان وجد — بواسطة العصير
المعوي الى سكر العنب ، وهذا السكر سهل الامتصاص ويبقى في الدم كما هو غير
أنه يخزن الزائد منه مؤقتا في الكبد على صورة الجليكوجين — كما قلنا — أما سكر
اللبن فيتحول أثناء امتصاصه الى سكر العنب أيضا ، ولا تأثير للعصارات الهاضمة فيه

امتصاص الاغذية

أما الامتصاص فانه يحصل في القناة الهضمية من أولها الى آخرها أي من
انفم الى المستقيم ، ولكن الامتصاص في الفم قليل جدا كثير في المعدة والأمعاء خصوصا
في الصائم من الأمعاء الصغيرة

ولما كان بعض المواد الزلالية يمكن امتصاص القليل منها وإن لم تهضم ^(٢)

(١) تسمى أيضا الاولية (Proteids) لان لها المنزلة الأولى بين الاغذية ،
والنيروجين من لوازم تركيبها (٢) المراد بالهضم هنا التغير الكيماوي المخصوص
الذي يحصل في الاغذية قبل امتصاصها

وكذلك الشحم والزيوت فلذا يستعمل الأطباء في بعض الأمراض الحتم الشرجية المغذية للمرضى وان كان أكثر هذه الحقن يهضم هضمًا صناعيًا قبل حقنه لتسهيل امتصاصه لعدم وجود عصارات هاضمة في المستقيم أما الماء والأملاح والمواد السكرية والزلاية فكلها تمتص من الأمعاء بواسطة فروع الوريد الباب ليحملها إلى الكبد— كما سبق— مع بعض أجزاء من الدهن قليلة جدًا، ولكن أكثر المواد الدهنية تمتصها أوعية لمفاوية مخصوصة موجودة في الأمعاء، وهذه الأوعية تسمى (بالأوعية اللمفية) لأن هذه المواد الدهنية التي تجري فيها تشبه اللبن وتسمى (بالكيلوس) وهي كلمة يونانية أيضا معناها العصير؛ وهذه الأوعية اللمفاوية تصب في غدد لمفاوية مشورة في طريقها لتفتتها من الميكروبات ونحوها، وكل من الأوعية وهذه الغدد موجود بين طبقتي المساريقا (Mesentery) ^(١) وهي عبارة عن غشاء من البريتون يعلق الأمعاء الصغيرة بالظهر ويحيط بها

والغدد اللمفاوية التي بين طبقتي المساريقا يحصل فيها التهاب فضخامة عند تفرح الأمعاء في الحمى التيفودية وغيرها واعلم أن الزلال المهضوم المسمى (بيتون) إذا دخل الدم من غير أن تحوله الخلايا المخاطية إلى زلال كزلال الدم كان سما زعاقا فلذا كان تحويله قبل امتصاصه واجبا

ومن المعلوم أن سم الثعابين ونحوها هو مواد زلاية تقرب من البيتون فلذا كان أكله مغذيا لا ضرر فيه لأن خلايا الغشاء المخاطي تستكمل بتحويله إلى ما يصلح للجسم قبل امتصاصه، أما إذا حقن في الدم أو تحت الجلد بدون هذا التحويل كان خطرا على الحياة

وفي الأمعاء ميكروبات عديدة، وهذه الميكروبات تحدث تغييرا وتحليلا في الأغذية فوق الذي تحدثه العصارات الهاضمة فينشأ عن ذلك غازات وغيرها، بعضها يضر امتصاصه وبعضها لا ضرر فيه، وهذه الغازات هي التي تحدث القراقر (١) كلمة يونانية معناها (وسط الأمعاء) لأن هذا الغشاء متصل بوسط الأمعاء

في البطن وخروج الأرياح ، ويكثر تكون هذه الغازات بأكل المواد النباتية . وقد تؤثر العصارات الهاضمة في بعض المواد المأكولة فتخرج منها مواد سامة للجسم اذا امتصت في الدم ، ولكن هذه الميكروبات تحللها الى أجسام أخرى وبذلك تبطل ضررها ، فوجودها في الامعاء ضروري ، ومن الخطأ محاولة قتلها بالأدوية المطهرة أما البراز فهو فضلات جميع الاغذية والاشربة التي لم تمتص ، ومفرزات الجهاز الهضمي ، وغير ذلك

والسبب في حصول الاسهال أحد ثلاثة أمور (١) إما اضطراب حركة الامعاء حتى تكون أسرع من الحالة الطبيعية فيمر فيها الطعام والشراب بسرعة زائدة قبل ان يجف بالامتصاص (٢) وإما زيادة العصارات الهاضمة وخصوصا افرازات الامعاء بسبب مرضها كالتها بها (٣) وإما قلة امتصاص خلايا الغشاء المخاطي للاطعمة والاشربة لمرض ما فيها . وهذه الاسباب في الغالب تكون مجتمعة في الاسهال العادي وقد تحصل بالمسهلات ، ولذلك كان الاسهال الزائد عن الحد ضارا جدا لانه ينهك القوى

والسبب في الامساك عكس ما تقدم ، وضرره يكون بامتصاص بعض المواد الضارة في الدم وبضفطه على بعض الاعضاء كالاوردة أو الاعصاب فيعوق وظيفتها وقد تنشأ عنه البواسير والصداع والضعف وآلام عصبية في الفخذ اليسر لضغط المواد البرازية في التعريج السيني والمستقيم على الاعصاب . أما مدة مرور الطعام في الامعاء فهي عادة من ٢٤ — ٣٦ ساعة ، منها نحو ١٢ ساعة للامعاء الدقيقة

(فصل في الاطعمة والاشربة وغيرها)

المواد الضرورية للجسم سبق ذكرها مرارا وهي باختصار : المواد الزلائية (الأولية) والسكرية والنشوية (الكربوهيدراتية) والدهنية والماء والاملاح وهذه المواد يأخذها الانسان اما من الحيوانات أو من النباتات ، والحيوانات المأكولة تأخذها أيضا من النباتات ، فصدر غذاء الانسان كله هو النباتات . وهذه المواد كلها توجد في أنواع مختلفة من الاطعمة أهمها : —

(١) اللب

هو غذاء كامل لاشتماله على جميع المواد السابقة وعلى الدهن المعروف (السمن والزبدة والقشدة) ويستخرج منه اللبن وهو جل المواد الزلالية والدهنية مع بعض أملاح تضاف إليه من الخارج

وإذا تعرض اللبن للهواء زمنًا مآ هبطت إليه بعض ميكروبات مخصوصة تحول سكره إلى حامض اللبنيك وهذا يرسب الزلال الذي في اللبن فيحافظ ويكون كاللبن المعروف في مصر (باللبن الزبادي) المسمى بالعربية (اللبن الخائر والرائب) وقد توضع في اللبن خميرة فيها بعض ميكروبات أخرى فتحول سكره إلى غول فينشأ نوع من الخمر بسبب ذلك يعرف في بلاد التار بالكفير أو الكوميس وكل من الكفير^(١) أو الكوميس^(٢) سهل الهضم مغذ للإنسان منبه للدورة الدموية بما فيه من الغول بمقادير قليلة ونافع في السل الرئوي - كما يقال - ولكن الاكثر والادمان عليه له بعض الاثر السيء الذي للخمر عامة

أما اللبن الخائر فهو أيضا سهل الهضم لقلته مائه ووجود الحامض فيه ، مغذ للإنسان ولكن إذا طالت مدة تخمره تولدت فيه مواد سمية ضارة، وهذا النوع نافع في الحميات لقلته إفراز المعدة للحمض أثناء الحميات وهو مفيد أيضا في نزلات المثانة واللبن قد يختلط بميكروبات أخرى محدثة للأمراض بعضها يصل إليه من الإنسان كميكروب الحمى التيفودية، والبعض الآخر قد يصل إليه من غيره كميكروب الحمى المالطية في لبن بعض المعز وكالدقيريا فإنها تصيب البقر والضأن . وكثير من البقر يصاب بالتدرن فيكون اللبن سببا في الدرر الإنساني وإن لم توجد فيه ميكروبات الدرر نفسها إذ يكفي وجود سمومها فيه فإن ذلك يضعف البنية ويهيئها لقبول ميكروب الدرر. فلذا يجب أخذ اللبن من الحيوانات السليمة في أوان نظيفة جدا وبأيد كذلك . ولثقة بطهارته من جميع الميكروبات يجب غليه قبل تعاطيه مدة خمس دقائق على الأقل

(١) يصنع من لبن البقر والمعز والغنم (٢) يصنع من لبن الفرس

وإذا منعنا وصول سائر الميكروبات الى اللبن أمكننا حفظه دهرًا بدون فساد كما سبق
والانفعال النفساني الشديد تأثير في افراز اللبن حتى إنه قد يسم الصغار
ومن السهل أخذ زبدة اللبن أو القشدة بالآلة المبعدة عن المركز المسماة
باللاتينية [Centrifuge] فإذا أديرَت بسرعة أبعدت جميع المواد التي في اللبن
عن المركز لثقلها ماعدا زبدة اللبن فانها تأتي نحو المركز لحفتها ، وبسبب خفتها أيضا
تصعد الى سطح اللبن اذا سخن بالنار كما هو معلوم

وإذا أخذت زبدة اللبن صار ثقله النوعي أزيد من المعتاد فاذا أضيف إليه
جزء من الماء عاد ثقله الى المعتاد (وهو في لبن البقر ٢٨ ١٠ الى ١٠٣٤)
ومن طرق غش اللبن أن يضاف عليه الماء مع النشاء لإكثار كميته ولكن
النشاء يمكن معرفته بطريقة كيمياوية سهلة جدا وذلك بوضع جزء من صبغة اليود
عليه فيتلون في الحال باللون الازرق اذا كان فيه نشاء

ويصنع من زيوت النباتات وشحم الحيوانات زبدة كاذبة تسمى باللاتينية
وغيرها المرغرين (ومعناها حرفيا مادة اللؤلؤ سميت بذلك للمعانها) يستعملها
التجار كثيرا بقصد الغش وهي في الحقيقة لا ضرر فيها الا أنها أرخص ثمنًا
ومن أكثر الالبان تغذية لبن الجاموس والعنز وأسهلها هضمًا لبن المرأة والأتان
(أنثى الجير) وأكثرها سكرًا لبن المرأة ويقرب منه في ذلك لبن الأتان

(جدول تركيب الالبان المختلفة)

نوع اللبن	المواد الزلالية	الدهن	السكر	الاملاح	الماء
لبن المرأة	٢٩ ٢٠	٣٨ ٣١	٦٢ ٢٠	٠٣ ٣٠	٨٧ ٤٠
« البقرة »	٥٥ ٣٠	٦٩ ٣٠	٨٨ ٤٠	٠٧ ٧١	٨٧ ١٧
« الفرس »	٠٠ ٢٠	٢٠ ١٢	٦٥ ٥٠	٠٣ ٣٦	٩٠ ٧٩
« الأتان »	٣٥ ٢٠	٦٥ ١٠	٠٠ ٦٠	٠٥ ٥٠	٨٩ ٦٠
« العنز »	٣٠ ٤٠	٧٨ ٤٠	٤٦ ٤٠	٠٧ ٧٥	٨٥ ٧١
« الجاموسة »	١١ ٦٠	٤٥ ٢٠	١٧ ٤٠	٠٨ ٨٧	٨١ ٤٠

(المجلد الثامن عشر)

(٢٨)

(النار : ج ٣)

(٢) البيض

وهو يؤخذ من أنواع مختلفة من الطيور ، وأكبره بيض النعام ، وهو أيضا غذاء كامل لاشتماله على جميع المواد اللازمة للجسم ، ولذلك تكون منه أجنة الطيور فتخرج منه كاملة الاعضاء والاجزاء . وطبقاته مؤلفة كما يأتي : —

القَيْض (القشرة) مركبة من مواد جيرية أهمها كربونات الكالسيوم، وبها ثقوب عديدة لازمة لدخول الهواء الى البيضة وخروجه منها لتنفس جنين الطير، فإذا سدت جميع هذه الثقوب اختنق ما في داخلها ومات. وسدها أيضا بمثل الشمع أو الصمغ يحفظ البيضة من الفساد، فانه يمنع دخول الميكروبات اليها . ويلى هذه القشرة طبقة أخرى رخوة ، ثم بياض البيض (الغِرْقِي) وهو يتركب من مواد زلالية مع قليل من الدهن والملح ، ووظيفته تغذية جنين الطير ، وهو محيط بالملح (الصفار) من جميع الجهات، أما (الملح) فهو عبارة عن خلية حية كبقية الخلايا الحيوانية ولها نواة يبتدئ فيها تكون الجنين بانقسامها وتغذيها بما حولها من المواد المغذية . والملح يتركب أكثره من مواد دهنية وأملاح مع قليل من الزلال المسمى جلوبيولين ، ولا يحصل هذا الانقسام في النواة الا اذا كانت ملقحة بالحيوان المنوي للذكر ، ومدة التفريخ للدجاج ٢١ يوما أي ثلاثة أسابيع

والبيض مغذ جدا سهل الهضم الا اذا طبخ طبخا شديدا فان ذلك يجمد مواده ويجعلها عسرة الهضم ، واذا شرب منه جزء بدون طبخ أو مع طبخ قليل أفاد الجسم وغذاه ، غير أن الافراط فيه مما يتعب السكلى ، وقد ينزل جزء من زلاله في البول ولمعرفة البيض الجيد من البيض الفاسد تذاب أوقيتان من ملح الطعام في نصف لتر ماء فاذا غرقت البيضة في هذا السائل دل ذلك على جودتها ، والا كانت فاسدة مشتملة على غازات ناشئة من الفساد هي السبب في خفتها

(٣) العسل

هو في الاصل ما تجمع به النحل من رحيق الازهار، ثم يحوله في معدتها الى هذه المادة المخصوصة ثم تلقيه من أفواهها في خلاياها مصداقا لقوله تعالى (يخرج من

بطونها شراب مختلف ألوانه (وفائدة العسل للنحل تغذية صغارها ^(١)) به
والعسل يشمل أنواعا من السكر أهمها سكر العنب مع مواد عطرية ، وفيه أيضا
جزء من الأبور (وهو المادة التي تسميها الأفرنج (Pollen) وهي عبارة عن عنصر
الذكر في الأزهار الذي تلقح الأنثى به ، والابور مادة بروتو بلازمية حية أي
مشملة على زلال وغيره ، ولذا كان العسل مشتملا على كثير من العناصر الضرورية
للحيوانات . أما شمعها فلا يهضم ولا يكتسب منه الجسم شيئا
والعسل مغذ جدا سهل الهضم للغاية بل إن سكر العنب الذي فيه لا يحتاج
إلى العصارات الهاضمة فإنه يمتص بدونها. والعسل ملين مقو للجسم ، وبسبب سهولة
هضمه وتقويته للجسم واحداً له اللين كان نافعا في كثير من الأمراض فيجعل الجسم
قوي المقاومة لأنواع كثيرة من الميكروبات، وقد يتغلب عليها بسبب ذلك ، فهو
نافع في سائر الأمراض التي تنهك القوى كالسل والسرطان والانيما والبلغم وفي
الحميات وغير ذلك حتى قال بعضهم إنه نافع في البول السكري ، ولكن ذلك لم
يثبت الآن عند الجمهور

وهو يحرص شهوة الطعام أيضا ويكثر من إفراز المعدة ومن اللعاب فيرتب
الحلق ، ولذا كان نافعا في التهاب اللوزتين والحلق وفي السعال . كل ذلك يؤيد قوله
تعالى (فيه شفاء للناس) وقد يجوز اعطاؤه أيضا في أحوال الاضطرابات المعدية
المعوية لانه سهل الهضم جدا يساعد عليه — كما قلنا — فلذا ينفع المصابين بعسر
الهضم ، ويجوز اعطاؤه في أول الأمر للمصابين بالذرب كما يعطى زيت الخروع بقصد
تنظيف القناة الهضمية من المواد التي تحدث تهيجها ، ويحسن اعطاؤه ملينا للاطفال
بدل زيت الخروع فإنه ملين لذيق الطعم تشبيه أنفسهم . ومن ذلك تعلم حكمة وصف
رسول الله (ص) العسل لمن أصيب باطلاق بطنه بقصد تنظيف القناة الهضمية وتغذية
المريض به لسهولة هضمه ، ويشبه ذلك وصف الأطباء غذاء اللبن في الذرب مع
أنه سهل كثيرا من الناس

(١) تسمى صغار النحل اللوثة (بالضم) والطرْد (بالفتح) والرصع بالتحريك
والديسم (بوزن جعفر)

ومن أحسن الاغذية النافعة للحميات العسل مع اللبن ، فان العسل يحترق في الجسم ويوفر احتراق أجزائه الاخرى بسبب الحمى . وذلك مما يعين الجسم على التغلب عليها . هذا وإن عسل النحل الذي تجمعه من أزهار سامة يحدث أعراض التسمم لمن يطعمه ، وكذلك الحال في ألبان الانعام التي تأكل نباتات سامة ، فيجب الاحتراس من ذلك ما أمكن ؟

الحنين الى الاوطان

كتاب مختصر من احسن كتب الادب طلاوة ، واشدها حلاوة ، وارشفها عبارة واجودها اختيارا للآلئ الكلام المثورة والمنظومة ، واطبعها للملكة اليسان في نفس الطالب ، وذوق البلاغة من الشاعر والكاتب . وحسبك انه لامام ائمة الادب ابي عثمان الجاحظ ، الذي نوه الزمخشري بمكانته العليا من البيان ، في خطبتي كتابيه اساس البلاغة والكشاف . وهالك هذا النموذج من اوله . قال بعد البسملة

إن لكل شيء من العلم ونوع من الحكمة وصنف من الادب —
سببا يدعو الى تأليف ما كان فيه مشتتاً ، ومعنى يحدو^(١) على جمع ما كان
متفرقاً ، ومتى أغفل حملة الادب وأهل المعرفة تمييز الاخبار ، واستنباط
الآثار ، وضم كل جوهر نفيس الى شكله ، وتأليف كل نادر من الحكمة
الى مثله ، بطلت الحكمة ، وضاع العلم ، وأميت الأدب ، ودرس
مستور كل نادر . ولولا تقييد العلماء خواطرم على الدهر ، وتقرهم آثار
الاولائل في الصخر ، — لبطل أول العلم وضاع آخره ؛ ولذلك قيل :
لا يزال الناس بخير ما بقي الاول يتعلم منه الآخر
وان السبب على جمع تتف من أخبار العرب في حنينها الى أوطانها ،

(١) يحدو — حذاه على الامر بعثه اليه

وشوقها الى تربها وبلدانها، ووصفها في أشعارها، توقد النار في أكبادها،
أني فاوضت بعض من انتقل من الملوك في ذكر الديار، والنزاع^(١) الى
الاطوان، فسمعتة يذكر أنه اغترب من بلد الى آخر أمهد من وطنه،
وأعمر من مكانه، وأخصب من جنبه؛ ولم يزل عظيم الشأن، جليل
السلطان، تدين له من عشائر العرب ساداتها وفتيانها، ومن شعوب العجم
أتجادها^(٢) وشجعانها، يقود الجيوش ويسوس الحروب، وليس ببابه إلا
راغب اليه أو راهب منه، فكان اذا ذكر التربة والوطن حن اليه حنين
الابل الى أعطانها،^(٣) وكان كما قال الشاعر:

اذا ما ذكرت الثغر فاضت مدامعي وأضحى فؤادي نهبة للهامم^(٤)
حنيناً الى أرض بها اخضر شاري وحلت بها غني عقود التمام^(٥)
وألطف قوم بالفتى أهل أرضه وأرعاهم للمرء حق التقادم
وكما الآخر:

يقر بعيني أن أرى من مكانه ذرا عقدات الابرق المتقاود^(٦)

١ النزاع الى الشيء الاشتياق اليه

٢ الانجاد جمع نجد وهو الشجاع السريع الى الاجابة فيما دعي اليه

٣ الاعطان أوطان الابل ومباركها عند الماء، واحداها عطن

٤ الهمام المموم

٥ التمام جمع تيمة، وهي خرزات كانت العرب تعاقها على أولادها يتقون
بها العين في زعمهم فابطلها الاسلام، ذكره في النهاية لابن الاثير

٦ ذرا الشيء بالضم أعاليه الواحدة ذروة بكسر الذاو وضمها، وقال في معجم
البلدان: قال ابن الاعرابي الابرق جبل مخلوط برمل وهي البرقة، وكل شيء
خلط من لونين فقد برق. والمتقاود المستوي، قال في أساس البلاغة: تقاود المكان
استوى، قال:

الا ليت شعري هل أرى من مكانه ذرا عقدات الابرق المتقاود

وأن أرد الماء الذي شربت به سليمان وقد مل السرى كل واخذ^(١)
 وألصق أحشائي ببرد ترابه وان كان مخلوطا بسم الاسود^(٢)
 فقلت : لئن قلت ذلك لقد قالت العجم : من علامة الرشد أن
 تكون النفس الى مولدها مشتاقة ، والى مسقط رأسها تواق^(٣) وقالت
 الهند : حرمة بلدك عليك ، كحرمة أبويك ، لأن غذاءك منهما وأنت
 جنين — وغذاءهما منه . وقال آخر : احفظ بلداً رشحك غذاؤه ، وارع
 حمى أكنك فناؤه . وأولى البلدان بصبابتك اليه بلد رضعت مائه ،
 وطعمت غذاؤه ، وكان يقال : أرض الرجل ظئره^(٤) ، وداره مهده ،
 والغريب النائي عن بلده ، المنتهي عن أهله ، كالثور الناذ^(٥) عن
 وطنه ، الذي هو لكل رام قنيصه . وقال آخر : الكريم يحن الى
 جنابه ، كما يحن الاسد الى غابه ، وقال آخر الجالي عن مسقط رأسه ومحل
 رضاعه ، كالعير^(٦) الناشط^(٧) عن بلده ، الذي هو لكل سبع قنيصة ،
 ولكل رام دريئة^(٨) ، وقال آخر : تربة الصبا تغرس في القلب حرمة
 وحلاوة ، كما تغرس الولادة في القلب رقة وحفاوة^(٩) ، وقال آخر : أحق

١ السرى سير عامة الليل وفي المثل « عند الصباح يحمد القوم السرى » ويقال
 جمل واخذ ووخاد اذا كان واسع الخطو ، وقد وخذ يخدو وخذاً ووخداناً

٢ الاسود جمع أسود وهو العظيم من الحيات

٣ تاق اليه توقانا اشتاق اليه فهو تائق وتواق

٤ الظئر المرأة التي حضنت ولد غيرها

٥ ند البعير ندا (بتشديد الدال) نفر وذهب على وجهه شارداً

٦ العير الحمار الوحشي والاهلي أيضاً

٧ قال في أساس البلاغة : ثور ناشط - خارج من أرض الى أرض

٨ الدريئة حلاقة يتعلم عليها الطعن

٩ الحفاوة المبالغة في الاكرام

البلدان بنزاعك اليه بلد أمصك حلب رضاعه؛ وقال آخر: إذا كان الطائر
يحن الى أوكاره فالإنسان أحق بالحنين إلى أوطانه؛ وقالت الحكماء:
الحنين من رقة القلب — ورقة القلب من الرعاية — والرعاية من
الرحمة — والرحمة من كرم الفطرة — وكرم الفطرة من طهارة الرشدة^(١)
وطهارة الرشدة من كرم المحتد^(٢)؛ وقال آخر: ميلك الى مولدك، من
كرم محتدك؛ وقال آخر: عسرك في دارك، أعز لك من يسرك في
غربتك، وأنشد

لقرب الدار في الإقترار خير من العيش الموسع في اغتراب^(٣)
وقال آخر: الغريب كالغرس الذي زایل أرضه، وفقد شربه، فهو
ذاو^(٤) لا يثمر، وذابل لا ينضر. وقال بعض الفلاسفة: فطرة الرجل
معبودة يحب الوطن — ولذلك قال بقراط: يداوى كل عليل بمقايير
أرضه، فإن الطبيعة تتطلع لهوائها، وتزغ الى غذائها؛ وقال أفلاطون:
غذاء الطبيعة من أجمع أدويتها؛ وقال جالينوس: يتروح العليل بنسيم
أرضه — كما تتروح الارض الجذبة بيلل القطر

والقول في حب الناس الوطن، وافتخارهم بالمحال قد سبق، فوجدنا
الناس بأوطانهم أقنع منهم بأرزاقهم — ولذلك قال ابن عباس: لو قنع
الناس بأرزاقهم، قناعتهم بأوطانهم ما اشتكى عبد الرزق؛ وترى الاعراب
يحن الى البلد الجذب والحل القفر والحجر الصلب؛ وتستوخم^(٥) الريف

١ الرشدة محبة النسب وهي بكسر الراء، والفتح لغة

٢ المحتد الاصل، يقال هو كريم المحتد وهم كرام المحتد

٣ الاقترار مصدر أقتر الرجل اذا افتقر؛ ذاو — ذابل

٤ استوخم البلد، وهو وخم ووخم بالكسر والسكون أيضا اذا لم يصلح للسكن

حتى قال بعضهم
 أتجلىن في الجالين أم تنصيري على ضيق عيش والكريم صبور^(١)
 فبالمر برغوث وحمى وحصبة وموم وطاعون وكل شرور^(٢)
 وبالبيد جوع لا يزال كأنه ركام بأطراف الإكام تمور^(٣)
 وترى الحضري يولد بأرض وباء وموتان وقلة خصب - فاذا
 وقع ببلاد أريف من بلاده، وجناب أخصب من جنابه، واستفاد غنى حن
 الى وطنه ومستقره .

ولو جمعنا أخبار العرب وأشعارها في هذا المعنى لطال اقتصاصه .
 ولكن توخينا تدوين أحسن ما سنع من أخبارهم وأشعارهم وبالله التوفيق
 ومما يؤكد ما قلنا في حب الاوطان قول الله عز وجل حين ذكر
 الديار يخبر عن مواقعها من قلوب عباده فقال : (ولو أنا كتبنا عليهم أن
 اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم) فسوى بين
 قتل أنفسهم، وبين الخروج من ديارهم . وقال تعالى (وما لنا ألا نقاتل في
 سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا) وقال الا ول : عمر الله البلدان
 بحب الاوطان ، وكان يقال لولا حب الناس الاوطان لخربت البلدان ،
 وقال عبد الحميد الكاتب وذكر الدنيا : نفتنا عن الاوطان ، وقطعتنا
 عن الاخوان ، وقالت الحكماء أكرم الخيل أجزعها من السوط ،

١ الجلاء الخروج من البلد . يقال : جلوا عن أوطانهم ، اذا خرجوا منها

٢ الموم هو البرسام مع الحمى

٣ الركام السحاب المستراكم بعضه فوق بعض - والاكمة تل ، وقيل شرفة
 كالراية وهو ما اجتمع من الحجارة في مكان واحد وربما غلظ ، والجمع اكم وجمع
 الاكم اكام مثل جبل وجبال - ومما الشئ تحرك بسرعة

واكيس الصبيان أبغضهم للكتاب ، وأكرم الصفايا أشدّها ولها الى أولادها ، وأكرم الإبل أشدّها حينما الى أوطانها، وأكرم المهاري أشدّها ملازمة لأمتها ، وخير الناس آلفهم للناس

وقال آخر من أمارات العاقل بره لاخوانه ، وحنينه الى أوطانه ، ومداراه لاهل زمانه. واعتل أعرابي في أرض غربة فقيل له ما تشتهي ؟ فقال حسل^(١) فلاة وحسو^(٢) قلات^(٣) ؛ وسئل آخر فقال : مخضاً^(٤) روبا، وضبا مشويا، وسئل آخر فقال : ضبا عينا أعور ؛ وقالت العرب حماك أحمي لك، وأهلك أحمي بك ؛ وقيل الغربة كربة، والقلة ذلة. وقال لا ترغبوا إخوتي في غربة أبداً إن الغريب ذليل حينما كانا وقال آخر : لا تنهض عن وكرك فتنفصك الغربة ، وتضيئك الوحدة ؛ وقال آخر لا تجف أرضا بها قوابلك^(٥) — ولا تشك بلدا فيه قبائك ؛ وقال أصحاب القيافة^(٦) في الاسترواح : اذا أحست النفس بولدها فتحت مسامها فعرفت النسيم. وقال آخر يحن الليب الى وطنه، كما يحن النجيب^(٧) الى عطنه ؛ وقال كما أن لحاضنتك حق لبنها — كذلك لأرضك حق وطنها ؛ وذكر أعرابي بلده فقال رملة كنت جنين ركامها ورضيع غمامها ، فحضنتي أحساؤها، وأرضعتني أحساؤها^(٨) ؛ وشبهت

١ الحسل ولد الضب حين يخرج من بيضه ٢ حسا زيد المرق يحسوه حسوا شربه شيئا بعد شيء وحسا الطائر الماء تناوله بمنقاره ٣ القلات جمع قلت بالفتح وهي النقرة في الجبل يستنقع فيها الماء ٤ المخض والمخيض ماخض من اللبن وأخذ زبده ٥ القوابل جمع قابله وهي المرأة التي تأخذ الولد عند الولادة

٦ القائف الذي يتبع الآثار ويعرفها ويعرف شبه الرجل بأخيه وأبيه والجمع القافة ويسمى فعله بالقيافة ٧ النجيب من الإبل القوي الخفيف السريع ٨ الأحساء جمع حسبي وهي سهل من الأرض يستنقع فيه الماء

الحكماء الغريب باليتيم اللطيم^(١) الذي نكل^(٢) أبويه - فلا أم ترأمة^(٣)
ولا أب يجذب عليه^(٤)؛ وقالت أعرابية إذا كنت في غير أهلك فلا
تنس نصيبك من الذل؛ قال الشاعر

لمرى أرهط المرء خير بقية عليه وإن عالوا به كل مركب
إذا كنت في قوم عداً لست منهم فكل ما علفت من خيث وطيب^(٥)
وفي المثل أوضح من مرآة الغريبة - وذلك أن المرأة إذا كانت هدياً
في غير أهلها تفقد من وجهها وهيئتها ما لا تفقده وهي في قومها
وأقاربها - فتكون مرآتها مجلوة تتمهد بها أمر نفسها وقال ذو الرمة
لها أذن حشر وذفرى أسيلة وخد كمرآة الغريبة أسجح^(٦)

١ اللطيم الذي يموت أبواه ٢ النكل فقدان المرأة ولدها ٣ رءمة الناقة الولد
عطف عليه ٤ يجذب عليه يعطف عليه ٥ قال ابن السكيت قوم عدا غرباء والشد
البيت قال ولم يأت فعل في الصفات غير هذا وهو أيضاً مذهب سيبويه وهم اسم
للجمع. وقال ابن السيد في الاقتضاب هذا البيت لزرافة بن سبيع الأسدي فيما ذكر
يعقوب وذكر الجاحظ أنه خلافة بن فضالة الجحواني من بني أسد - والعدى
الغربة والعدى أيضاً الأعداء - والاكل والعلف ههنا مثلاً مضر وبان للمواقفة
وترك المخالفة وكان هذا الشاعر قد راغم قومه وعتب عليهم ثم جاور غيرهم -
وندم على مفارقة قومه - ولذلك قال قبل هذا البيت

لمرى لقوم المرء خير بقية عليه وإن عالوا به كل مركب
من الجانب الأقصى وإن كان ذا غنى جزيل ولم يخبرك مثل مجرب
تبدلت من دودان نصراً وأرضها فما ظفرت كني ولا طاب مشربي

ثم أقاض في شرح البيت

٦ الحشر ما لطف من الآذان - والذفرى من الحيوان العظيم الشاخص خلف
الأذن - والاسيل من الخدود الطويل المسترسل. وسجح الخد كفتح سهل ولان
وطال في اعتدال. وقل لجه وقال في أساس البلاغة وجه أسجح مستوي الصورة
ورجل أسجح الخدين وقد سجح قال ذو الرمة وقد انشد البيت

سفور النساء واختلاطن بالرجال

وفوضى الالاداب بمصر

في هذه الايام التي ثبت فيها عن نساء فرنسة كلهن ، حتى غانيات باريس منهن ، انهن لبسن ثياب الحداد ، بعد رفولهن في تلك الأزياء ، التي قلدهن فيها سائر النساء ، في جميع الارحاء ، وظهرن بمظهر الراهبات الناسكات ، وهن أولئك الفاتئات ، الكاسيات العاريات ، المائلات المميلات ، اللواتي قتن قلوب الرجال ، حتى صاروا يشدون اليهن الرجال ، بل يطيطون اليهن على مرأكب النار ، في سباسب الارض وأجواز البحار ، وتركبن المراقص والملاهي والحانات ، الى ساحات القتال والمستشفيات ، وإلى دور الصناعة ، وأعمال الزراعة ، لينخفن عن أمتن أفعال هذه الحرب الضروس ، في هذا العصر العبوس

= في هذه الايام التي مس الناس فيها الضر ، وهدد الأمم والدول العسر ، فكسدت غلات الزراعة ، وقعطت معامل الصناعة ، ووقفت حركة التجارة ، وقل الدرهم والدينار ، وغلت أمان الأشياء ، وخاف العقلاء ان يعقب هذه الحرب قحط ومجاعات ، تلوها قتن وأوبئة وثورات ، وشعر المبذرون من أهل السعة والثروة ، بوجود الاقتصاد في النقة خوفا من سوء العاقبة

= في هذه الايام التي تدك فيها الحصون والمعقل ، وتدمر المعابد والمنازل ، وتتل العروش ، وتذهب باستقلال الشعوب ، وتنذر أقوى الدول بأسا ، وأشدن بطشا ، ذلا بعد عزة ، وضعفا بعد قوة ، وفقرا بعدا ثروة ، وعبودية بعد حرية

= في هذه الايام — وقد زلزلت الارض زلزالها ، وأخرجت الارض أثقالها ، وقال الانسان ماله ، وما عسى ان يكون مآلها — انبرى نفر من الشبان والشواب ، من المتفرنجين والمتفرنجات في هذه البلاد ، يتبارون في تخبير المقاتلات ، وإقامة الحجج والبيانات ، المؤلفة من مقدمات الشبه والخيلات ، على وجوب سفور النساء المصريات ، واختلاطن بالرجال في الملاهي والمجتمعات ، وفي عامة الاحوال والالوقات . ايشاركن

الرجال في حريتهم ، ويساهمهم في التمتع بمحاسن (الطبيعة) ويقتبس منهم الآداب والافكار الجديدة ، ولذلك يسون مطالبهم هذا « تحرير المرأة » فرادهم ان المرأة في رق أهلها ثم زوجها ، وانه ينبغي ان تفعل ما تشاء ولا يصح لاحد أن يحجر عليها ، ولا أن يصددها عما تحب وتهوى

يتوهم هؤلاء المساكين ان الفوضى الأدبية التي يرتعون فيها هي الحرية التي ينوه بمدحها الافرنج ، والتي بها وصلوا الى ماوصلوا اليه من العلم والصناعة ، وما أنتجا من الملك والسيادة ، ولم يعقلوا أن هذه الفوضى هي التي حلت روابطهم القومية ، وأضعفت مقوماتهم ومشخصاتهم الجنسية، وجرفت ثروتهم الى البلاد الاجنبية ، وجعلتهم غير أهل للاستقلال في إدارة بلادهم، فضلا عن مد نفوذهم وبسط سلطانهم على غيرهم ، ولم يستفيدوا منها الا الغرور بأنفسهم ، وكثرة الدعاوي العريضة بألسنتهم .

النساء المسلمات غير مسترقات في مصر ولا في غيرها ، ولا محرومات من التمتع بمحاسن الوجود وطيبات الدنيا ، فأما نساء الفلاحين فأمرهن معروف وانهم يشاركون الرجال في كل شيء ، ولا يعنيهن طلاب « تحرير المرأة » فيما يقولونه عن النساء المصريات . وأما نساء الموسرين في المدن اللواتي تتوجه اليهن أنظار هؤلاء المحررين ، فهن أكثر تمتعا بزينة الدنيا ونعيمها من الرجال ، الا في أمر واحد فقط وهو حرية المجاهرة بالفسق ، ومعاشرة الرجال ومخادتهم في الجهر ، فالفاسقة منهن لا تفسق الا وراء الستر ، أو في المواخير المعروفة ببيوت السر ، ولا تخرج مع خدن لها للتنزه الا مستخفية ، إلا ان تكون مغمولة أو متهتكة .

وأما البرقع فهو زي اختارته لنفسها ، وزينة تجذب الانظار اليها ، لأنه يظهر المحاسن ، ويخفي المعاييب ، وقد اعترف بذلك قاسم امين . وسبقه اليه الشيخ احمد فارس الكاتب الاجتماعي الشهير ، وقد نظم في البرقع هذين البيتين :

لا يحسب الغرُّ البراقع للنسا منعاهن عن التماذي في الهوى
ان السفينة انما تجري اذا وضع الشراع لها على حكم الهوا

على ان البراقع كانت في عهد زيارته لمصر سائرة لمعظم الوجه ، فكيف لو رأى براقع هذه الايام التي قلبت فيها من مقال سابق « تلاعبها الانفاس ، وتحترقها أشعة

عيون الناس ؟

واني لأعجب من المدافعين عن الحجاب كيف يعدون هذه البراقع البيضاء الشفافة من محصلاته أو متماته ، وما هي الامن هاتكاته أو مزيلاته ، الا ان يكون مرادهم رد كل مايجي به خصومهم من العبث بعاتات الامة لاجل التفرنج وزيادة التهنك. كما اني أعجب من اهتمام الآخرين بإزالتها دون غيرها من زينة النساء المدنيات وهي لا تمنع علما ولا عملا ولا صلاحا ولا فسادا ، الا ان يكون مرادهم ترك كل وطني احتقار له ، واستبدال الشخصيات الافرنجية بالمشخصات الوطنية تعظيما لقدرها ، أو توها أن تشبها بالأفنج في مشخصاتهم — وهو سهل علينا — يقوم مقام جعل مقوماتنا كقوماتهم — وهو ماعز علينا — فيكون لنا شرف التلهي بقشور مدنيتههم وقد انحطت همنا عن اللحاق بهم في لبابها وحقائقها .

أولم يكفهم اننا شرعنا نقتدم في هذه الظواهر القشرية قنزيا حكمانا بأزيائهم ، وتبعهم الناس بالتدريج المعتاد في مثل ذلك ، ثم قلدناهم في الاثاث والرياش والماعون وفي كثير من العادات ، وهل كان ذلك كله الا سببا لحرف ثروتنا ، واقتراعهم إياها منا ، وبعد ان قضي على صناعتنا ، ولم تحل صناعتهم محلها ، دع تأثيره في اضعاف ديننا وآدابنا التي هي مقومات أمتنا فخرجنا عن كوننا أمة متماسكة بما بيننا من الروابط كتماسك البناء المتين ، وصرنا كالانقاض التي لا مالك لها ، يأخذها المعمرون فيشيدون بها دورا جديدة لهم

لماذا لا نعتبر بحال الامة الانكليزية التي نالت أعظم سيادة في الارض بأخلاقتها وصفاتها وعاداتها ، كالكثبات والتروي والمحافظة على مقومات الامة وم مشخصاتها حتى المفضولة منها ، وعدم اقتباس شيء من عادات غيرها وآدابه وان كان أحسن مما عندها ، الا ان يكون بالتدريج البطيء ، في الزمن الطويل

وجملة القول ان زي النساء المدنيات بمصر هو زي زينة تجذب أنظار الرجال اليهن قلما يوجد زي يفي بهذا الغرض مثله وهو ليس من الحجاب في شيء ، ولعله أبعد الأزياء عن آداب الاسلام وصيائمه ، فلباس البدويات والقرويات السافرات الوجوه اقرب الى أدب الاسلام وصيائمه منه ، ولكن الدعوة الى إزالته

٢٣٠ حقيقة ما عليه النساء المدينيات بمصر [المثار: ج ٣ م ١٨]

بدعوى قبحة — لأنه من الحجاب الضار المدموم بزعم هؤلاء الدعاة وبروح التفرنج التقليدي الذي يدفعهم اليه — دعوة ضارة مضعفة لمزاج الامة صادعة لبنائها الاجتماعي، وانما تحسن الدعوة الى تغييره بدعوى مخالفته للأداب الدينية، وشرف الصيانة الاسلامية، والى استبداله بزى آخر يجمع بين الجمال والكمال، ولا يقصد به تقليد أحد من الشعوب والاجيال.

ان المقلد لا ينفك مرتكسا في الضعف يخبط في ليل دجوجي

وأما المطلب الثاني من مطالب أعداء الحجاب — وهو اختلاط النساء بالرجال فهو الجدل الذي يؤبه له ويهتم به، وحسبك من بيان ضرر الدعوة اليه بروح التفرنج، وأسلوب ذم الحجاب المنسوب الى الشرع، ما قلناه آفا في ضرر الدعوة الى تغيير الزى، وتأمل في الموضوع نفسه لتدرك ما فيه من الضرر أو النفع

لعل عدد نساء الموسرين في المدن لا يبلغ معشار $\frac{1}{100}$ عدد نساء الفقراء اللواتي يعين في الاسواق والطرقات أو يخدمن في البيوت ونساء القرى والبادية، وهؤلاء هن اللواتي يوصفن بالحجاب، والجهاد كله في سيلهن

هذا العدد القليل من النساء يخالط الرجال الاجانب كل يوم في الاسواق والشوارع والمتنزهات، وكذا في بعض البيوت. فالتساء المدينيات يشترين بأنفسهن من الرجال كل ما يحتاج اليه من الثياب والحلي والاعطار وأدوات الزينة حتى ما يستحيا من ذكره. وترى الكثيرات منهن في ضواحي المدن ومتنزهاتها يركبن مع الرجال في المركبات، أو يمشينهم في الطرقات، ومنهن السافرة عن وجهها. والمحاصرة لخدمتها، واذا سمعت أخبار بيوت السر من وقائع الشحنة (البوليس) أو المختبرين تعلم ان هذه البيوت النجسة كثيرة جدا، وان أخدامها من النساء (المحجبات)، وعشاقهن من الافندية والبكوات والباشوات، يعدون بالألوف لا بالمئات، دع ذكر الذين يذهبون بنسائهم الى أوربة فيلبس مدة سفرهن ملابس الافرنجيات كما يفعل رجالهن، ويجمعن معهم أو منفردات عنهن بالرجال في المطاعم والملاهي والملاعب والمراقص، ودع ذكر الذين يدخلون أصدقاتهم من الرجال على

[النار: ج ٣ م ١٨] الخلوة بالنساء وحضورهن مجامع الرجال ٣٣١

نسائهم في بيوتهم، ويأمر منهن بمجالستهم رموا كلتهم وهن حاسرات عن رؤسهن، مبديات لنحوهن، لاسافرات عن وجوههن فقط. بل أقول لك همسا، ما أخجل ان أجرب به جهرا : ان المحادثة ذائعة بين التلاميذ والتلميذات

كل هذا كثير شائع في مصر فما الذي بقي ممنوعا من اختلاط النساء بالرجال، حتى قام بعض الشبان والشواب ينشدونه ويجاهدون في سبيله في هذه الايام، التي صدعت بناء الانسانية أعظم صدع، وحصرت هم الشعوب كله في الخوف على استقلالها في الشرق والغرب ؟

انما بقي شيان اثنان (أحدهما) ان العرف يحظر على الرجل الاجنبي ان يدخلوا بامرأة أجنبية من هؤلاء المدينيات (كما يحظر الشرع الخلوة بكل أجنبية بغير عذر شرعي) أو يطلب الاقتراد بها بزيارة أو غير زيارة . فمخالفة هذا لا تزال تعد قبيحة في العرف فلا تقع من غير المهتكين الا خفية .

(ثانيهما) ان هؤلاء النساء لا يجالسن الرجال في مجالسهم الخاصة في البيوت ولا العامة في المجامع والملاهي ، الا من شذ

أما اباحة خلوة المرأة بالرجل اباحة مطلقة بغير نكير فلا يكاد يدكرها محاربو الحجاب في مقالاتهم اذ لا يجدون شبهة يزينونها بها ، وانما يكثرون اللفظ في مجالسة النساء للرجال في المجالس الخاصة والمجامع العامة زاعمين ان ذلك يرقى عقول النساء ويزيد في علومهن وآدابهن ، وهذه أظهر شبهاتهم في هذا الباب . وقد اشرعنا لها طريقا لا ينكره عرف ولا شرع فيما كتبناه في المجلد الثاني من النار تقريفا لكتاب تحرير المرأة ، وهو أنه يمكن تحصيل هذه الفائدة بمجالسة النساء في البيوت لمحارمهن من الرجال كالاخوة والاعمام والاخوال ، وأولاد الاخوة والاخوات ، وبقضاء الأزواج أوقات فراغهم مع نسائهم في البيوت ، فلماذا يترك هذا مدعو الحرس على فائدة الاختلاط ان كانوا صادقين ؟

وأما المجامع العامة قلما يوجد في مصر منها ما يفيد النساء فائدة تستحق كل هذا الجهاد. فالمجامع العامة الدائمة هي المعروفة بالقهاوي والحانات، وغير الدائمة منها هي المآتم والاعراس، وقد وجد في البلاد قليل من الاندية الخاصة، وأحاديث

الناس فيها كالحديثهم في الملامح العامة من كل وجه، ولكن تلقى فيها أحيانا بعض الخطب والمحاضرات التي لا يفهم بعضها إلا القارئات، وهذه المحاضرات تنشر غالبا في الصحف فيمكن لمن يستفدن منها أن يقرأنها فيها، ولا فائدة للنساء في مجامع الرجال سواها، ولكنها لا تخلو من مفاسد:

غشيان النساء لهذه المجامع من أقوى الوسائل لتعرف الفساق بهن واغوائهن إياهن، والفساق هم الذين يحرصون على هذا الاجتماع بالنساء في الغالب. أما أهل الفضائل والآداب الصحيحة فقليل ما هم، وأكثريهم — ولا كثرة فيهم — لا يحب هذا الاختلاط ولا يميل إليه. فان وجد فيهم من يرغب فيه للإصلاح الخالص من شوائب الهوى فمن ذا الذي يعرف هؤلاء الأفراد وهم أندر من الكبريت الأحمر؟ وكيف السبيل إلى جمعهم في أندية خاصة يختلف النساء إليها دون غيرها لأجل ترقية أفكارهن وآدابهن ???

إلى متى نفش أنفسنا، وتعامي عن فساد الأخلاق والآداب الغالب على نابتنا، الذي لم يزد مع تربية التفرج إلا تفاقم واستشراء؟ أنبذل هذه الصبابة الباقية لنسائنا من ارث فضائل سلفنا إلى هؤلاء السفهاء، ونسبي هذا إصلاحا للبيوت بإصلاح النساء؟

إذا كان «خير الناس أنفعهم للناس» كما ثبت في النقل والعقل فالفلاحون في هذه البلاد خير من هؤلاء المتفرجين الذين تلقفوا قليلا من اصطلاحات مبادئ الفنون، لم يستعدوا بها لعمل ما للامة، إلا ان يكونوا خدما واجراء للحكومة، التي يعدون اللهب بذمها من شعائر الوطنية الصادقة، فن تستغني الحكومة عن استخدامهم بمنهم يمسون ويصبحون كلا على الامة وعالة على العاملين فيها كالفلاحين، يأكلون ثمرات أعمالهم، ويفسدون ما بقي من فضائلهم وآدابهم، ويحسبون انهم من الأئمة المصلحين فيهم، (ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون)

ألا ان النساء في حاجة إلى العلم والآداب والإصلاح، وليس الرجال أقل حاجة منهن إلى ذلك. ففساد أخلاق الرجال هو الذي أفسد النساء وأضاع ثروة الامة وحل روابطها الاجتماعية، ولم يندلجها بها روابط خيرا منها ولا مثلا

[النار: ج ٣ م ١٨] الشيخ شبلي وحزب الإصلاح بين الجامدين والمتفرجين ٢٣٣

ألا ان هذا الإصلاح الصحيح انما هو اصلاح النفس بتربية الاخلاق والاداب الدينية أولا ، ثم بتعليم العلوم التي يعمل المتعلم بها من يوم خروجه من المدرسة الى ان يهرم أو يموت — وعلوم النساء العملية العامة تربية الاطفال وإدارة البيوت — وانما يقوم بذلك على الوجه النافع خيار الامة دينا وعقلا وأدبا بتأليف الجمعيات الخيرية والعلمية ، فان لم يوجد من هؤلاء من يقوم بهذا العمل على وجهه بالتعاون فان الامة تظل مذبذبة لا يستقيم لها أمر ولا يتم فيها اصلاح (وما يتذكر الا اولو الالباب)

الشيخ شبلي النعماني

كان الشيخ شبلي النعماني — رحمه الله وأدام النفع به — ركنا من أركان نهضة الإصلاح الاسلامي في الهند

ورجال هذا الإصلاح في كل الاقطار الاسلامية أمة وسط بين فريق الجامدين على التقاليد والعادات التي انتهى اليها أمر جمهور المسلمين بعد فتك التفرق الديني والسياسي بهم ، وانتشار البدع والخرافات فيهم ، وإضاعة جل ما ترك سلفهم من العلم والمجد التليد ، وإعراضهم عن العلم الحديث والمجد الطريف — وبين فريق المتفرجين الذين أصابوا حظا من اللغات الاجنبية ، وتلقفوا قليلا من العلوم والفنون الاوربية ، فأحدث لهم ذلك غرورا بأنفسهم ، واحتقارا لأمر أمتهم ، فطفقوا يمرقون منها بزلزال عقائدهم وأفكارهم ، وتغيير عاداتهم وأزيائهم ، فوهت فيهم جميع مقوماتها ، ولم يندغموا في أمة من الأمم التي يقلدونها ، على ان منهم من يحسبون انه يمكن جعل أمتهم كلها ، مثلهم أو مثلها .

المباينة بين الجامدين والمتفرجين عظيمة ، كل منهم يحتقر الآخر ويكرهه ، ويعده علة لضعف الامة وانحطاطها . أولئك يرمون هؤلاء بالكفر والفسوق ، وينفرون وينفرون منهم ومن هذه العلوم والفنون ، ويعدونهم آلات الاجانب التي يحلون بها عناصر الامة ويستعملونها كما يستعملون عناصر الارض في تنمية ثروتهم ،

(النار : ج ٣) (٣٠) (المجلد الثامن عشر)

وإعلاء كلمتهم ، واستعمار البلاد وجعلها تحت سلطتهم — وهؤلاء يرمون أولئك بالتعصب والجهل والخرافات والهمجية ، التي يجب نسفها لإقامة بناء الحضارة والمدنية . ولحق أن كلا منهما مخطئ في شيء ومصيب في شيء آخر ، وله مزايا حسنة ورزايا ضارة ، وإن الأمة لو سارت على رأي كل منهما وحده لم تكن عاقبتها إلا الانحلال والهلاك .

وأما حزب الإصلاح ، فهو وحده محل الرجاء ، لأنه يقدر مزية كل من الحزبين قدرها ، ويعرف منافعه ومضاره ، ويريد أن يكون معقد الارتباط والاتصال بينهما بأرجاع كل منهما عن خطئه ، والسير بالأمة في طريق تحفظ به مقوماتها ومشخصاتها وتعيد الموروث النافع منها إلى جدته ، وتتدرج في استبدال النافع بالضرار منه ، وتقتبس من علوم العصر وفنونه وصناعاته ما لا تقوم لأمة قائمة في هذا العصر بدونه ، وليس هذا المقام مقام شرح الإصلاح ولا بيان أحوال الأحزاب الثلاثة ، وإنما ذكرنا هذا لبيان مرادنا من قولنا أن فقيد الإسلام في الهند كان ركنا من الإصلاح الإسلامي ولم يكن طلاب الإصلاح إلا أفراداً من الناشئين في بيوت حزب الجود أو حزب التفرنج ، هدام الله تعالى باستعداد في فطرتهم ، وتوفيق في سيرتهم ، إلى معرفة الطريقة المثلى لإصلاح أمتهم . وكان المعقول أن يكون رجال العلم الديني أقدر على أهل الجود منهم على المتفرنجين ، ولكن كثيراً ما كان الأمر على غير ذلك . وسببه أن كبار الجامدين من الشيوخ هم أشد حسداً وبغضاً للمصلح الديني من غيره ، فهم يكيدون له ، ويضعون من العوائير له ما لا يضعون لغيره . — فلماذا لم يتم للشيخ شبلي ما كان يريد من الإصلاح في ندوة العلماء ، وكان أدنى الناس إلى مساعدته المتدينون من كبار الدنيا كأميرة بهوبال . وقد أخبرني رحمه الله تعالى أن الأمير الجواد ، الذي تفاخر به الهند أمراء المسلمين في جميع البلاد ، النواب محمد علي وراجا محمود آباد ، عرض عليه مبلغاً كبيراً من المال يدفعه سنوياً لمدرسة ندوة العلماء بشرط جعلها للمسلمين كافة كمدرسة عليكره لا خاصة بأهل السنة . وهذا باب عظيم من أبواب الإصلاح ما كان ليشايه عليه المتعصبون من أعضاء الندوة ، فلذلك اعتذر الأمير بأن هذا عمل ما حان وقته

وأما الاميرة المحسنة التقية صاحبة بهوبال ، التي جعلها الله تعالى بعد المصلح العظيم السيد صديق حسن خان ، نصيرة العلم وخادمة الاسلام ، فقد كانت ظهيرة الشيخ في جميع ما يخدم به الدين والعلم من الاعمال . وانا ننشر هنا نص كتاب جاءنا منه ، يشير الى ما كان من صلتها وصلتنا به ، وهو :

الى حضرة السيد المحترم
متع الله المسلمين بطول بقائه

بعد التحية والسلام

اني لم أزل أقرأ في الجرائد ماتبدلون من السعي في تأسيس دار العلم والارشاد ، وهذه هي بغيتنا التي كنا نشدها نحن أهل الندوة ، فجعل الله سعيكم مشكورا ، وتوج عملكم بالنجاح . طالما تاقت نفسي الى زيارة مصر للقائكم ولكن هياث فاني قد قطعت إحدى رجلي لرصاصة أصابتها فبقيت جليسا^(١) للبيت غير قادر على تحمل أعباء الرحلة والسفر . والامر الذي دعاني الآن الى ارسال النميقة ان الاميرة سلطان جهان (بيكم) صاحبة ايلالة بوفال^(٢) خرجت راحلة الى لندرة للحضور في حفلة تتويج الملك جرج ، وهي تريد زيارة البلاد الاسلامية وتصل في مصر في شهر رمضان وهي من عظماء بلادنا أعطت مائة ألف روية^(٣) لتكميل كلية عليكده ، وعينت ثلاث مائة روية جواية شهرية لندوتنا ، وكم لها من أمثال ذلك

ولها شدة عناية بتربية عائلتها ، ولذلك أرادت أن تجلب إحدى الملمات المسلمات من مصر المحروسة ، وقد كتبت الي أن أكون مساعدا لها في انجاح هذا الامر . فالرجو من حضرتكم انها لما تصل الى القاهرة^(١) وتستدعي من حضرتكم الاستشارة والاستعانة فافعلوا ما يليق بكم من اكرام مثل هذا الضيف الكريم العديم المثل والفضل لكم^(٢)

شيلي نعماني

لكهنؤ

ندوة

في ٧ مايو سنة ١٩١١

- ١ - يحتمل ان تكون الكلمة « حلسا » بالحاء المهملة المكسورة اذ يقال : فلان حلس يته ، أي ملازمه . وأصل الحلس ما يفرش تحت سرح الدابة أو رجل البعير وعلى الارض في البيت وقد يفرش غيره فوقه
- ٢ - هكذا يكتب الهنود اسم هذه الايلالة ، والمشهور عندنا ما كان يكتب في مصنفات السيد حسن صديق خان وهو هكذا « بهوبال »

٢٣٩ دعوة رئيس الندوة صاحب المنار الى رئاسة مؤتمرها العام [المنار: ج ١٨م٣]

هذا وان الفقيه رحمة الله تعالى قد اشترك بالمنار من أول العهد لظهوره وكان مواظبا على قراءته معجبا به. وقد كان له من حسن الظن بصاحب المنار ما حمله على دعوتنا لرئاسة مؤتمر ندوة العلمي السنوي رجاء زيادة إقبال مسلمي الهند على هذا المؤتمر وما يتبع ذلك من تعضيد الندوة ومساعدتها . وهذا نص كتابه الاول في ذلك

بسم الله الرحمن الرحيم

الى حضرة الفاضل الاستاذ مولانا رشيد رضا أطال الله بقاءه
لا يخفى على أمثالكم ان اغارات جرجي زيدان على أعراض العرب في كتابه تاريخ التمدن الاسلامي أكثر من ان تحصى، وان كل ما دسّه وموّه به لا أصل له أصلا، وحين اطلعت على ذلك كاد قلبي ان يتميز من الغيظ غير اني صبرت وأمعت النظر فيما به نظر . ولما عيل عني الصبر ونأى، قتت على ساق وألفت رسالة أكشف فيها دسائسه، وهي الآن تطبع وأريد إرسال ما فرغ من طبعه منها اليكم لكي تدرجوه في جريدتكم — وكذلك الى الفراغ منها بأسرها

ومما انبيه اليكم ان ندوة العلماء في كل عام تعقد محفلا عاما يحضر فيه الخاص والعام والامراء والنواب وأهل الحل والعقد ويكون انعقاده عامنا هذا في أول ابريل سنة ١٩١٣ فنحن معشر المعتمدين والاراكين نهوى ونود من صميم قلوبنا ان يكون صدر (٣) هذا المحفل العظيم وواسطة عقده التنظيم حضرتكم الشريفة، فان تشرّفونا بالقدوم علينا في الهند تهرع أهل البلاد الشاسعة الى هذا المحفل الاسلامي على كل ضامر من كل فج عميق لمقدمكم المبارك ان شاء الله تعالى، ويحصل بعون

١- كذا في الاصل ومهما اتقن علماء الاعاجم العربية فانهم يظنون يغلطون في تعريف الاعلام وتنكيرها

٢- لقصر مدة إقامة الامير بمصر لم يتيسر لنا اختيار معلمة يمكن أن تراها ونختبرها ثم لم يتيسر ذلك بعد سفرها أيضا وقد عرضنا ذلك على الآنسة نبوية موسى فطلبت ان يكون راتبها الشهري مئة جنيه مع شروط أخرى، وانه ليوجد في الهند معلومات انكليزيات لا يزيد راتب احدها عن بضعة جنيهات

٣- يعنون بكلمة صدر ما نعرض نحن عنه بكلمة رئيس وبهذا المعنى يستعملونها في لغتهم الأوردية

[الناشر: ج ١٨ م ٣] دعوة رئيس الندوة صاحب المنار الى رئاسة مؤتمرها العام ٢٢٧

الله لكم ما أنتم بصدد الاجتهاد فيه من اظهار مقاصد مجلس التعليم والارشاد، ويعظم بذلك محفل ندوتنا ويقدر قدره. وفي طي رقيمي هذا أرسل اليكم خطبة والي الهند وعميدها، فيظهر لكم منها ان الدولة البريطانية لها عناية تامة بندوة العلماء ولولا ذلك لم تعين لها في كل شهر خمسمائة روية من خزائنها، فان عزم جنابكم على تشريفنا بما اقترناه فلا عليه ان يلاقي سفير الدولة البريطانية في مصر المحمية وينهي اليه خطبة والي الهند وعميدها في حق ندوة العلماء، وعريضتها عند قدوم الملك المعظم مع ملكته المعظمة قاعدة الهند دهلي، لكي يكون على علم ويستحسن قدومكم علينا، وان أمكن منكم طلب الاجازة بذلك مرقومة فيها فنعم ذلك. ودمتم أفندم، شبلي نعماني

٥ جنوري (يناير) سنة ١٩١٣ ندوة العلماء — لکھنؤ

جاءنا هذا الكتاب ونحن نستعد لفتح مدرسة (دار الدعوة والارشاد) فكان المانع من اجابة هذا الدعوى أرجح من المقتضي اذ كان لابد من السفر بعد فتح المدرسة بشهر أو أقل — وأنا ناظر موظف لها، والروح المدير في تأسيسها والقيام بها، — ولكن أعضاء مجلس جماعة الدعوة والارشاد رأوا ان رحلتي الى الهند خير لمشروعنا لان إشهاره في مثل ذلك المؤتمر العظيم فقرأوا في جلسة رسمية إجازتي واعانني على ذلك اقترح الشيخ رحمه الله تعالى علي أن اسافر بإجازة من عيد الدولة الانكليزية هنا، وأرسل الي خطبة حاكم الهند العام الذي ذكر ندوة العلماء بخير لا توصل بها الى هذه الاجازة، فكان هذا من بعد نظره وغور فهمه للسياسة، وكان مراده أن تكون هذه الاجازة كتابية فلم يتيسر ذلك، فلقني الشيخ من انكار والي لکھنؤ عليه دعوتي الى رئاسة مؤتمر الندوة ما لقي، وأمكنه ارضاءه بما كان أعده لذلك من الحجج، ومنها ما كتبه لورد كرومر في تأييد شيخنا الاستاذ الامام من مدح حزبه، وخطبة للدكتور مرجليوث الاستاذ الشهير في مدرسة اكسفورد ذكر فيها رأي صاحب المنار في الجامعة الاسلامية بكلام مرضي وثناء حسن

ونحمد الله ان حقق ظن الشيخ رئيس الندوة وأعضائها الكرام فينا، اذ كان الاقبال على المؤتمر في ذلك العام مما لم يسبق له نظير من قبل. ورحم الله الشيخ شبلي وأحسن عزاء المسلمين عنه

تقريظ المطبوعات الجديدة*

خواطر في القضاء والاقتصاد والاجتماع

بقلم فقيه العلم والعمل والجد المرحوم علي أبو الفتوح باشا وكيل نظارة المعارف العمومية المصرية، طبعه باذن المؤلف نجيب الهندى مترى صاحب مطبعة المعارف بمصر في سنة ١٣٣١ هـ - ١٩١٣ م على ورق جيد طبعا نظيفا بحجم ٣٦٠

الكتاب مجموعة مقالات كانت متفرقة في الجرائد والمجلات العربية وغير العربية فجمعت في حياة كاتبها ومر عليها فأصلح فيها ما أراد، وزاد في بيان المراد. وهو يطلب من ناشره ومن مكتبة المنار بمصر

جولة مسائل الكتاب مما اشتغل به مؤلفه علما وعملا فجاءت وافية واضحة مفيدة ونحن ننقل طائفة عنه من مقالة [الشريعة الاسلامية والقوانين الوضعية] قال :

« يظن كثير من الناس حتى من المسلمين أنفسهم أن المبادئ المقررة في الشريعة الغراء لا توافق هذا الزمان الذي بلغ فيه الانسان من المدنية والحضارة درجة رفيعة، ويتوهمون أن الأحكام والروابط التي في القوانين الحديثة الوضعية لا مقابل لها في الأصول الاسلامية، وأنها بمثابة الاختراعات المادية الجديدة التي أنتجها فكر علماء الغرب لم يسبقهم بها أحد !

« ولكن الباحث في الفقه الاسلامي ولو قليلا لا يلبث أن يغير هذا الظن ويتحقق من أن أسلافنا بلغوا في الرفاهة وقرير المبادئ العمرانية والاجتماعية والقضائية شأواً قداماً يجاريهم فيه أحد، الا ان صعوبة كتب المتأخرين وكيفية تأليفها، والتواء أساليبها، وتعقيد عباراتها، قد أوصد الباب في وجه من يريد الوقوف على حقيقة الشريعة الغراء من غير المنقطعين لدراستها

« ولذلك فاني أشير على من يسلك هذا الطريق ان يقصد المؤلفات القديمة لانها أسهل مورداً وأغزر مادة مع خلوها من التعقيد وتزهرها عن المشاغبات اللفظية، وليترك هذه الكتب الحديثة للمنقطعين لفهمها بدون ملل ولا حساب للوقت

(*) كتب تقارظ هذا الجزء شقيقنا السيد صالح مخلص رحنا وقد تأخر نشره على انه هو قد قصر فيها عهد اليه من كتابة التقارظ حتى اجتمع لدينا كتب كثيرة من مطبوعات السنين الاخيرة

«أذكر هذا على أثر مطالعتي لكتاب الخراج للإمام أبي يوسف المتوفى سنة ١٨٢ هجرية . وقد ألف هذا السفر الجليل برسم أمير المؤمنين هارون الرشيد وفيه من النصائح والأحكام ما يجدر بأمرأ المسلمين اتباعه والعمل به

«عُرت في هذا المؤلف الصغير الحجم على درر كثيرة عمدت الى نظمها في هذه المقالة حتى يرى المسلمون ولا سيما المشتغلين منهم بالقوانين الاقرنكية ان المتقدم لم يترك شيئاً للمأخر . ولعلمهم ينكبون على دراسة الشريعة والآداب الاسلامية لانهما لا ينافيان العصر الحاضر ولا المدنية الحديثة اذا فهم حق الفهم ودُرسا بعقل وتميز

«وما أجدر الحكومات الاسلامية باستنباط قوانينها وأحكامها من الشريعة مع اختيار القول الاكثر مناسبة للزمان والمكان لتكون هذه القوانين والاحكام أكبر احتراماً في النفوس وأشدّ موافقة لاخلق وعادات من وضعت لهم»

ثم أتى بوجوه قانونية وبنود وافقت فيها القوانين الوضعية الفقه الاسلامي

كتاب الانساب للسماني

تأليف أبي سعيد عبد الكريم السماني ، نقله الاستاذ مرغوليوث استاذ العربية في جامعة اكسفورد بالفوتوغرافية عن نسخة محفوظة في المتحف البريطاني وطبع سنة ١٩١٢ على ورق من أجود الورق على نفقة (تدكار جب) وصفحاته تزيد على ١٦٠٠ صفحة بالقطع الكبير

وضع السماني كتابه هذا في القرن السادس الهجري ، فكان عمدة المؤرخين والمحدثين . وقد ذكر في مقدمته فضل علم الانساب وجاء بالآيات والاحاديث في ذلك وعقد فصلاً للبحث على هذا العلم ، وقد زاد الاستاذ مرغوليوث هذا المعنى ايضاحاً اذ وضع للكتاب مقدمة وجيزة باللغة الانكليزية بين فيها المراد بعلم الانساب واشتهار بعض الاعلام من المحدثين بانسابهم كالبخاري والترمذي والنسائي مما دعا الى تعريف الرجال بانسابهم .

وقد ساعد المستر السن الاستاذ مرغوليوث فوضع في هوامش الكتاب دوائر صغيرة قبالة كل سطر تبدي في ترجمة أحد المترجمين فأفاد، ولولا ذلك لما أغنى كتابة كثر الاسماء المترجمة بخط ثخين لان ذلك لم يلتزم في جميع صفحات الكتاب اذ لم يكن من نسخ ناسخ واحد ، بل يظهر انه تماقب عليه عدة نساخ وخطه دقيق ملزوم

٢٤٠ شرح السيرة النبوية . رجال المعلقات العشر [المنار : ج ٣ م ١٨]

بعضه الى بعض ، وينقص بعض كلمة النقط فتبقى ، لو يطبع ثانية بالحروف المطبعية بعد مقابلة هذه النسخة بغيرها من النسخ الواضحة الصحيحة كالنسخة التي رآها صاحب المنار في لكتنهور بالهند فتم فائدته ، فنحن أحوج الى هذا الكتاب ممن تولوا طبعه وأحق بإحياء مآثر أسلافنا ، وإنا نشكر للاستاذ مرغوليوث هذه الهدية النفيسة كما نشكر لجمعية [تذكارجب] إحياءها هذا الكتاب وغيره من آثار العرب

شرح السيرة النبوية (رواية ابن هشام)

طبع هذا الكتاب بمطبعة هندية بمصر سنة ١٣٢٩ ، وكتب في طرته ما تقدم ، واه مطبوع بارادة « إمبراطور ألمانيا وملك بروسية وملك ورنبرج »

تأليف الشيخ الامام الحافظ المحدث الفقيه أبو ذر محمد بن مسعود الحشني . استخرجه وصححه بولس برونله . وأبو ذر هذا اسمه مصعب بن محمد كما في القاموس ، وهو من علماء الاندلس أخذ عنه الشريشي شارح مقامات الحريري . وكتابه هذا أمالي أملاها في شرح غريب السيرة . وجعله عشرين جزءا وكان ينبغي ان تسمى فصولا لا أجزاء ، وقد طبع طبعا جيدا في جزئين من قطع أصفر من المنار ، وجعلت أرقام صفحتها متصلة فيحسن ان يجعل مجلدا واحدا فيكون مؤلفا من ٤٦٦ ص ومن الكتاب عشرة قروش ويطلب من مكتبة ديمر بمصر

رجال المعلقات العشر

تأليف الشيخ مصطفى الفلايني استاذ اللغة العربية في مدرستي المكتب السلطاني والسككية العثمانية في بيروت وطبع بالمطبعة الاهلية في بيروت سنة ١٣٣٠ على ورق جيد طبعا نظيفا وصفحاته ٣٦٠ : القطع الوسط و٤٠٠ ١٢ قرشا ويطاب من مكتبة المنار بمصر .

الكتاب مصدر بمقدمتين أولاهما في خلاصة تاريخ العرب قبل الاسلام والثانية في خلاصة تاريخ أدب اللغة العربية من العصر الجاهلي الى اليوم وصفحات المقدمة الاولى ١٦ صفحة والثانية ٣٠ صفحة ثم الكلام على رجال المعلقات بالتفصيل ويتضمن سيره الشاعر وموته والكلام على شعره ومعلقته وسبب نظمها ونجبة من شعره . وقد ضمنت من الفوائد اللغوية والتاريخية والادبية ما لا يوجد في غيره . وقد جمعه لتلاميذ السنة الرابعة والخامسة في المكاتب السلطانية والسادسة والسابعة في المكاتب الاعدادية أو ما يضاها في هذه السنين في المدارس الاهلية (الحنين الى الاوطان) نشرت نبذة منه في هذا الجزء وستقرظه فيها يليه ان شاء الله